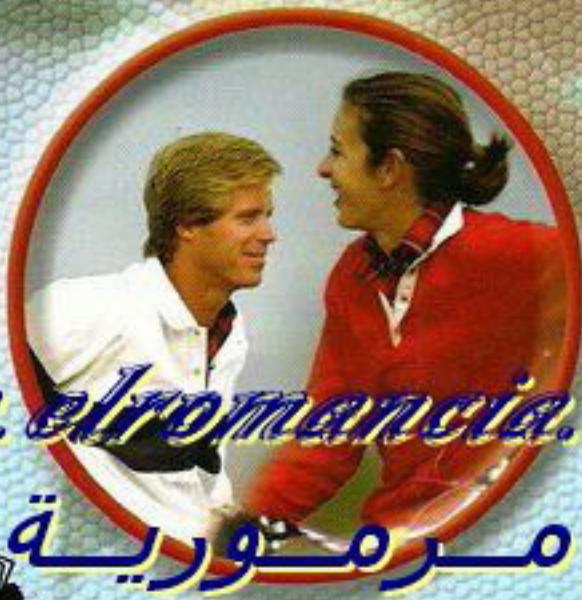


روايات حبیر

قلب  
من حبیر



[www.elromancia.com](http://www.elromancia.com)

مرموقة



No. 070

# روايات حبیر

## قلب من ٤ رير

على ظهر القارب المتوجه إلى جزيرة دومنيك .. كانت أحلام الأنسة (بني دافدوسون) كبيرة وعظيمة .. أحلام تفوق الخيال مع عالمة الآثار (نورا ردهفرين) .. حيث كانت تحلم بأن يصبح ابنها (ماكس ردهفرين) شقيقاً لها .. يملأ فراغ نفسها.

لكن على الجزيرة .. اكتشفت بني أن ماكس متجرف وصارم .. كل همه إصدار الأوامر والتعليمات .. وبصعوبة شديدة حاولت عدم الاصطدام به .. بعد ما أخذت الهوة تسع بينهما يوماً بعد يوم .. حتى وصلت خيبة الأمل إلى أبعد مما كانت تتصور أن يحدث .. وأخذت المفاجآت تترى حتى حدث مالم يكن متوقعاً.

I.S.B.N. 977-376-185-1



9 789773 761851

W.Salamah 0101517873

سوريا	٧٥	ل.س	البحرين	٧٥	فلس
مصر	٥	جنيه	قطر	٨	ريال
لبنان	٢٥٠	ل.ل	مسقط	٧٥٠	بيسة
الأردن	١	دينار	المغرب	١٥	درهم
السعودية	١٠	ريال	لبنان	١٥	دينار
الكويت	٧٥	فلس	تونس	١٥	دينار
الإمارات	١٠	درهم	اليمن	٢٠٠	ريال

No. 070

روايات عبير

قلب من  
حبر

آن هامبسون

الناشر

دار الكتب العربي

دمشق - القاهرة

روايات عبير 070

قلب من  
حرير

www.elromancia.com

اسم السلسلة ، روايات عبير

اسم الكتاب ، قلب من حرير

اسم المؤلف، آن هامبسون

رقم الایداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٦ / ٥٦٧٧

I.S.B.N 977-376-185-1

تصميم و اخراج الغلاف، وائل سلامة

جمع الالكتروني، فوراتش ٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
٢٠٠٦



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البلاودي هالقة ١ - ٢٢٩٥١ صرب ٦٨٦٥ تل اسكن - ٢٢٢٧٣  
مصر - القاهرة - ٢٥ شارع عبد الخالق دروت - شقة ١١ تلناكس - ٣٦٦٦٦٢٢

E-mail:darkitab2003@yahoo.com

## ١ - التقارب يبدو بعيداً

كانت بنى متكتة على الدرايرون تحدق أمامها عندما رأت معالم الجزيرة تبرز من خلال الضباب الكثيف وتتضح كلما أسرع القارب نحوها وهو ينساب على مياه بحر الكريبي الهاادنة.

- ها هي جزيرة الجبال الشامخة والشلالات المنحدرة، جزيرة النخيل والاقحوان!

ابتسمت بنى لشاب أنيق اقترب منها ووقف بجانبها. غراهام برليس كان أحد المسافرين الثمانين على ظهر قارب الموز ومن بينهم بنى ومديرتها وغراهام هذا أستاذ الرياضيات في المدرسة الرسمية في جزيرة دومينيكا، وكان عائداً من إنجلترا بعد تمضية عطلة الربيع بين أهله هناك.

- شيء مثير حقاً!

وتمتمت بنى بصوت خافت:

- ولكن هذه الإثارة يعود سببها الأهم إلى لقائهما بماكس ردفiren وليس مكونها بضعة أشهر في هردوس هذه الجزيرة في الهند الغربية. إذ أن والد بنى ووالدة ماكس كانوا قد أعلنا خطوبتهما مؤخراً.

- ماكس ليس شقيقى بعد . سيتزوج والدى من والدته عندما يحال على التقاعد بعد شهرين من الآن.

وبدوره لم يعلق غراهام على ذلك بل قال بشيء من الوجل:

- لن نقطع أى اتصال بیننا بعد أن تنزل إلى البر، أليس كذلك؟  
صحيح أنى عرفتك منذ تسعه أيام فقط لكننا سبقى صديقين يا بني،  
صديقين حقيقين.

- أطمئن، سبقى صديقين حقيقين.

- سأرافك في تجوالك عند نهاية الأسبوع، وسنخرج في بعض  
الأمسيات حيث إن الليل يسدل ستاره في وقت مبكر جداً . وقد نذهب  
إلى حفلات راقصة وما شابه.

ابتسمت بني قليلاً . لقد عملت مع نورا ردهيرن مدة تزيد على  
السنة واختبرت سخافة تحطيط المواعيد . وتتابع غراهام كلامه:

- وقد تسحرك جزيرة دومينكا فتقررين البقاء إلى الأبد.

- لاشك في ذلك.

وعادت تنظر إلى الجزيرة . كانت الغيوم تتسارع مارة فوق مجموعة  
جزر وندوارد، ولكن قمم الجبال اجتذبتها وأنزلتها سيلولاً من المطر.  
هنا يمكن سر تكافف الأدغال في الداخل، وكثرة الأنهر التي تتقاطع  
في جميع أنحاء الجزيرة . قالت بني موضحة:

- أنا هنا في عمل، وحيث تذهب السيدة ردهيرن أذهب.

- ولكن بعد زواجهما لن تستطيع متابعة مهنتها وتقلباتها.

وسيصبح ماكس وبني بهذا أخاً وأختاً . كانت بني دائمًا تتحسر لأنها  
وحيدة والديها، وتتوق إلى أخي لتصبح جزءاً من عائلة بعد أن عاشت  
طيلة اثنى عشرة سنة مع والدها، وبعد أن توفيت والدتها وهي ما  
ترزال طفلاً في الثامنة.

تساءلت بني إذا كان ماكس متocomسًا لتكون له اخت، إذ كان هو  
الآخر وحيد والديه.

- انظر إلى هذه الخطوط الصفراء (قال غراهام) إنها مزدوجة من  
الشمس والمطر.

كانت الخطوط أشعة واضحة تنحدر من الشمس عابرة فوق  
الجزيرة لتعكس من ثم في البحر . هذه هي جزيرة أقواس القرم كما  
يسمى بعضهم دومينكا، حيث كثيراً ما يشاهد الماء الشمس والمطر في  
آن معًا . لم يدم هذا المشهد الرائع إذ أن الشمس قاربت على المغيب مع  
أن الوقت لم يكن إلا الخامسة مساءً.

- إنها تجلب الضباب . (قالت بني). هل الأمر دائمًا هكذا؟

- كلا، ولكن لا تنسى أنك عند خط الاستواء الآن حيث تقطن  
الفيوم قمم الجبال بصورة مستمرة تقريباً.

اقترب منها وقال:

- أرجو لا تخيب آمالك في شقيقك الجديد.

لم ترق بني هذه الملاحظة إذ أنها نشم منها أن غراهام لا يحب  
ماكس، ولم تعلق عليها أيضاً، أولاً احتراماً لماكس وثانياً اعتقاداً منها  
أنه لطيف . وكل ما قالته بني هو:

- التقلل من ضرورات عملها، ولهذا تنتظر حتى يتقادع والدى وينضم إليها.

- كلا يا غراهام، بقائي هنا غير وارد.

- أفهم ذلك.

وبعد برها سألاً تطفلاً: هل تحبين عملك هذا بالفعل؟ لا يزعجك التقلل؟

- كنت عالمة تماماً بمتطلبات العمل عندما قبلته.

ذكرتها عبارتها الأخيرة بأول مقابلة لها مع مديرتها. عندما دخلت عليها رأت بنى أمامها، امرأة نحيلة هزيلة ذات شعر أبيض كالثلج وعيون زرقاوي متوقدتين. لم تنتبه نورا ردفiren إلى دخول بنى لأنهماكها هي فحص قطعة صخرية تحت عدسة مكبرة. أخيراً رفعت رأسها وسألت بنى والدهشة في عينيها:

- من أنت؟

- الآنة دافدسون. لي موعد معك.

- آه، صحيح. نعم، إنك تريدين العمل هنا إجابة لإعلان في الجرائد. منذ متى وأنت واقفة هنا؟ استريحي يا عزيزتي. لماذا لم تتتحققني، أو تعطى إشارة ما؟

- كنت مستقرة في عملك.

- هذا؟

وأشارت إلى الحجر.

- مهم جداً، خاصة ما يحتويه من معدن. هل عملت مع المؤلفين قبل ذلك؟

- لا، ولكنني متأكدة...

- لم تعمل؟

هنا قطببت السيدة ردفiren حاجبيها.

- وما هي مؤهلاتك الأخرى التي اشتطرتها؟ لحظة من فضلك. كل شيء في الجريدة هنا... كلا، الجريدة ليست هنا. آسفة، استعملتها في لف بعض الحجارة.

- أنت تريدين شخصاً يهتم بعلم طبقات الأرض. تعلمته في المدرسة لأنه كان يثير اهتمامي ولا أزال متصلة به في مطالعاتي.

- آه...

ترددت قليلاً ثم أضافت:

- حسناً فيك كل المؤهلات المطلوبة... آسفة لأنني لا أجد الإعلان. لا بأس، يبدو لي أنك فتاة مناسبة وستتعلمين بسرعة. وفوق ذلك أنت مليحة. وهكذا توهررين على الوقت الذي قد أخسره في النظر إلى فتاة باهتة بدون أي وحي.

ماذا تعنى بالوحى؟ هل يلزم لكتابة أشياء واقعية ضمن اختصاصات السيدة ردفiren؟

نظرت إلى بنى بعينيها النافذتين وقالت:

- متى ستباشرين العمل؟ يوم الاثنين المقبل؟

ثم أضافت أن عليها أن ترافقها إلى فرنسا ويوغوسلافيا للقيام بأبحاث على الأحجار الجيرية في بعض المناطق. وبعدها ستتوجه إلى الهند الغربية.

- قسم كبير من كتاب سياتل الثورات البركانية التي وقعت في تلك المنطقة.

وأضافت موضحة:

- سأجمع بين الراحة والملائكة. إن ابني يعيش في جزيرة دومينيكا حيث يمتلك مزرعة موز. ستكون دومينيكا مركز مكتبنا الرئيسي وسنعيش مع ماكس في بيته الجميل والذي ستحببنا بلا شك.

كان قد مضى على عملها أكثر من ستة أشهر عندما عرفت والدها على السيدة رديفرن. ولكنها لم تتوقع أن يتالفا بهذه السرعة الفاتحة. ولم يخطر على بال بني أن والدها سيتزوج مرة ثانية ولا السيدة رديفرن التي هي في نظر بني آخر امرأة يختارها والدها، لأنها بالرغم من دماثة خلقها ولطفها متقلبة وغريبة الأطوار.

وما زاد في دهشة بني هو أن يقع اختيارها على والدها لأن السيدة رديفرن تملك ثروة طائلة تركها لها زوجها، عدا كونها علمًا من أعلام التنقيب في طبقات الأرض. وكتبها مرجع للعلماء وتدرس في الجامعات والكليات في جميع أنحاء العالم. أما والدها من جهة أخرى، فهو فقير بالمقارنة. ومع أن راتبه الشهري محترم إلا أنه سيتضاعف كثيراً عند التقاعد. ولكن يبدو أن المال لم يكن عاملاً في العلاقة بينهما. وستسر بني إذا تزوج والدها في هذه المرحلة من عمره، وإذا كسبت شقيقاً في هذه المرحلة من عمرها.

قلب من حرير

- أتعرفين المدة التي ستمضينها في الجزيرة؟  
نبعها سؤال غراهام من تفكيرها في الماضي القريب، وأعادها إلى واقعها على ظهر القارب. فقد نسيت تقريباً وجود الشاب بجانبها.
- هذا يعتمد على التحريات التي تقدر لها السيدة رديفرن أربعة أو خمسة أشهر. أما والدى فسيأتى حالما يتقادع وسيعقد قرانه هنا.
- هذا يعني أن إقامتك هنا ستطول أكثر مما توقيعه في بادئ الأمر. ولا أعتقد أن السيدة رديفرن ستتحطم هنا، عائلة مازالت في طور التكوين.
- فكرت في هذا.

قالت بني وفي نظرتها خيبة أمل:

- آخر أقسام الكتاب عن البراكين ولا أرى مبرراً في عدم إنهاء الكتاب هنا. وإذا قررت السيدة رديفرن ذلك يعني أنها ستمضي سنة كاملة هنا.

ما زالت دلائل خيبة الأمل ظاهرة في عينيها الداكنتين الجميلتين، وبالرغم من أنها قبلت بالأمر الواقع، أى الابتعاد عن «شقيقها» مدة من الزمن، إلا أن الفراق سيكون مؤلماً. سيبقىان طبعاً فردين في عائلة واحدة، وسيتبادلان الرسائل بانتظام وسيزور ماكس انجلترا بين الحين والأخر، ولكن هذا شيء والعيش معًا شيء آخر. لذا عزمت بني على اقناع السيدة رديفرن بأن تبقى في دومينيكا حتى تنتهي من كتابها.

- سنة كاملة؟ مدحش!

هتف غراهام مبتهمجاً.

فوجئت بني فادارت رأسها بحركة سريعة وقالت:  
- لا أعتقد أنها ستبقى.

قالت ذلك والأمل يحدوها بأن غراهام لن يتوقع شيئاً أكثر من الصداقة معها. ولاحظت اهتزازاً غريباً في السماء عندما غابت الشمس وراء أفق الجزيرة فقالت بتذكر:

- لن نرى غروب الشمس. يا للخسارة!  
- نحن في الجانب الآخر من الجزيرة، وكل ما نحس به في هذا الجانب هو الاهتزازات.

وبعد بضع دقائق انضم إليهما مسافران، بول وزوجته، كانا سيقضيان أسبوع في بيت والدى بول اللذين يملكان مزرعة ليمون في الجزيرة.

- أريد أن أرى كيف تجري الأمور مع السيدة ردفيern.  
قالت بني ذلك وتركت رفاتها الثلاثة على ظهر القارب ونزلت إلى غرفة مديرتها.

- آه هذا أنت يا عزيزتي.

كانت لاسيدة ردفيern جالسة على مرقدها ترسم خريطة لمجموعة من جزر وندوارد، فسألت عما إذا كان القارب قد دخل الميناء؟ فأجابت هذه بالنفي فعلقت السيدة ردفيern:

- سنسلل داخل الثغر في روزو.  
وعادت إلى رسماها.

- نسلل؟ غريب معنى هذه العبارة.

- من عادة السفن أن تدخل الثغور خلسة مستعملة فقط أضواء الملاحة.  
رفعت رأسها ونظرت في وجه بني وقالت:  
- عزيزتي بني... أنا... آ...  
كانت تتلهم، إلا أنها تابعت:  
- بخصوص موضوع خطوبتي لوالدك..  
- نعم؟ (قالت بني متعجبة)  
- أريد منك ألا تتكلمي عنه... في الوقت الحاضر على الأقل.  
- ألا تكلم عنه؟  
بدأ قلبها ينبض بسرعة:  
- يعني أن ابنك لا يجب أن يعلم الموضوع؟  
من الغريب أنها لم تطلع ابنها بعد على خطوبتها. فقالت السيدة:  
- كان من المفترض أن أخبره به يا بني. لكن ماكس شخص صعب المراس قليلاً... أوه، أرجو ألا تكون قد أعطيتك فكرة خاطئة، لكنك تعرفي أن الأبناء لا يحبذون أن تتزوج أمهاتهم مرة ثانية.  
- إن هذا الأمر يفوق إدراكي. ابتهجت كثيراً عندما علمت برغبة والدى في الزواج منك، فلم لا يشعر ماكس بالشيء نفسه؟  
لم يدر في خلد بني أن ماكس يعارض هذا الزواج، إذ كانت تؤمن أنه من الطبيعي أن يهتم ماكس بسعادة أمه كما تهتم هي بسعادة أبيها.  
- يجب أن تخبره. لا يحق لنا إخفاء ذلك عنه.

ولما هزت السيدة رديرين رأسها رافضة، قالت بني:  
- إذن متى ستخبرينه؟

- فيما بعد... في وقت أكثر مناسبة.

كانت السيدة رديرين مرتبكة وتساءلت بني إذا عدلت عن رأيها.

- أنت تحبين أبي؟

سألتها لاهثة.

- أحبه بكل تأكيد.

كان الصوت خافتًا ودالًا على الصدق. وتطلعت السيدة رديرين في عيني بني دون أن ترف، وتتابعت:

- إني أحبه وأنوي الزواج منه، ولكن أريد أن أطلع ماكس على ذلك في وقت يلائمني... عندما أرى أن المناسبة مواتية.

افتعمت بني بهذا التوضيح ولكن بشيء من خيبة الأمل. كيف يكون موقفها أخيًّا تجاه ماكس بينما يجهل كل شيء عن خطوبته أمه؟

- شيء آخر يا بني... عودي إلى عادة مناداتك لي بالسيدة رديرين. أرجوك، لا تنسى.

قالت:

- سأحاول أن أذكر.

وخرجت بعد ذلك.

استيقظت بني مع شمس كان شروقها وذهبياً وهاجًا. أطلت من النافذة وألقت بيصرها على حديقة بيت ماكس رديرين في مزرعته.

كان البيت محاطاً بمزارع الموز والجبال الشامخة التي تحدُر منها السيول والشلالات لتُروي الأحراض المتشابكة وشجر الأرز والنخيل.

تذكرة أن غراهام قال لها إنها ستُحب الجزيرة. ولا تتصرّف أن هناك أحدًا لا يتمتع بهذا الفردوس الاستوائي. كما قال لها أنها ستسر بصحبة ماكس.

نزلت إلى الحديقة حيث كان طعام الفطور جاهزًا لم يتأخّر ماكس عنها فدعاهما إلى الجلوس وقال إن والدته ستتناول فطورها في الفراش.

كان ماكس يقرأ رسالة فلم يكن هناك مجال للحديث. تنهدت بني ببيبة عندما قارنت بين ماكس الذي كونته في مخيلتها وماكس الجالس أمامها. فقد حلمت أنه سيكون عاملاً مهمًا في حياتها تلجلجاً إليه كأنّ لها بكل ما في الكلمة من معنى. تقرست فيه ورأت أنها ليست أكيدة من أنه لن يكون حجر عثرة في طريق زواج أمه. من رآه وهو يطالع تلك الرسالة باهتمام وعبوس، وبشفقتين مطبقيتين كالباب الموصد، سيعتقد أنه يقرأ خبراً سيئاً. لكن بني تعلم جيداً صاحب سبب عبوسها ليس في الرسالة بل فيه هو. هذا هو ماكس على علاته. ماكس الذي لم يؤثر فيها عندما وقع نظرها عليه لأول مرة، والتي لم تشعر فيها بتلك اللهفة التي توقعتها في أخيها العتيد.. وما زاد في ملامحه وجهه الجاف قساوة حاجبان أسودان مستقيمان وشعر كثيف. هل يشبه والده؟ هكذا تظن بني لأن والدته شقراء وتقاطيع وجهها ناعمة وفمها عريض وعطوف.

كانت بني تتأمله وهي تعرف بملعقتها بعض النارنج الهندي ورفع ماكس رأسه فجأة فالتقت نظراتهما. كانت له عينان سوداوان تتركان

انهليعاً أنها تتفدآن إلى أعماق الناظر إليه.

- هل صحيح ما قالته والدتي بأنك ستبشرين العمل فوراً؟

كان صوته يعكس هيئته، عميقاً وممتنعاً وجذاباً لدرجة قصوى.

- فوراً. لم تقل السيدة رديرين شيئاً. ربما ترغب أن تبدأ أبحاثها في أقرب وقت ممكن.

- ستجدن مكتبك جاهزاً، وهو في الجهة الثانية من البيت تجاه البحر. لم تستطع تريزا إعداده البارحة لأنها كانت مريضة.

تريزا خادمة داكنة اللون التقت بها في الليلة السابقة عندما حيتها ومستخدماً ماكس بابتسامة عريضة كشفت عن أسنان بيضاء لامعة. كانت تريزا تجهل كل شئ عن طهو الطعام للبيض وعن الأعمال المنزلية. ولكنها الآن تساوى وزنها ذهباً، كما أكد ماكس لوالدته. وزوجها ماثيو الذي يكبرها بكثير جوهرة هو الآخر. فبالإضافة إلى مسؤوليته في العناية بالحدائق الواسعة، وجد الوقت الكافى ليزرع جميع أنواع الخضار اللازمة للبيت وليهتم بعدة خلايا للتحل.

ابتسمت بني مجاملة وفوجئت بماكس يسألها:

- أتحبين العمل مع والدتي يا آنسة دافيدسون؟

المفاجأة كانت في مناداتها بالآنسة دافيدسون مما يدل على أنها أبعد بكثير عن أن تكون شقيقة له في الوقت الحاضر. لكنها أجبت قائلة:

- أحب ذلك كثيراً. العمل مثير للهمم والسيدة رديرين سيدة كلها لطف وعناية.

كان ينظر إليها كمن يريد أن يسبّر غورها:

- كم من الوقت مضي منذ أن باشرت العمل مع والداتي؟

- أكثر من سنة بقليل.

قالت ذلك ولفت نظرها عصفور ورّار كان ينتقل من زهرة إلى أخرى ليمتص رحيقها ثم يقترب من ماكس كأنه يريد إلقاء نظرة عليه.

- منذ سنة. لكن موقف والدتي لا يشبه موقف رئيسة عمل.

الفتت إليه بني وسألته:

- لا أفهم ما تعنيه.

- ما أعنيه هو أن الليلة الفائتة... كان موقفها تجاهك موقف حنان، حنان عميق.

من الطبيعي أن تقف السيدة رديرين هذا الموقف تجاهها وهي التي ستكون زوجة أبيها، ولكن بني لا تستطيع إعلام ماكس بذلك.

- مع أنك لست إلا أمينة أسرارها، أرى هذا العطف غريباً جداً.

كان وهو يتكلم يضع الزيد على شريحة من الخبر مثبتاً عينيه السوداويين في بني وفيهما بصيص من الشك قال:

- قلت لنوك إنها سيدة كلها لطف وعناية. هل وجدتها كريمة أكثر من اللازم؟

تورد وجهها من الانفعال ويرز جمال تقاطيعه، وعيناه السوداوان دلتا على عتاب وتالم. عتاب لنفسها إذ أنها بكل سذاجة اعتقدت أنه ستقوم إلفة بينهما، وتالم لخيبة أملها فيه. فهل سيتغير موقفه منها إذا

علم بخطوبه أمه لأبيها؟ إنها تشك في حدوث ذلك.

- أنا أتقاضى راتبي يا سيد رديرين.

قالت بجهاء غير مألف لدتها:

- وأقر بأن راتبي محترم، ولكن أكدت في عمله بضمير مرتاب، ولذا  
أعتقد أنني أكسب عيشي بجدارة.

رفع حاجبيه للهجتها وأثر لنفسه موقف كبرباء، حوكَت بنى بصرها  
عنه وتتبعت الورَّار الذي ما فتنَ، يمتص رحيق النبات. لفتت نظرها  
البقة التاربة اللون في جبينه.

- يا آنسة دافسون.

قال بحزم:

- أكون ممتَّا لك إذا تذكرةت أنك مستخدمة... مستخدمة ليس إلا.  
أظن أنني أوضحت ما فيه الكفاية.

لمعت عيناهَا واحمررت وجنتها غضباً، ولكنها كبتت ردها الجاف  
الذى كادت ترميه به، لأن ماكس هو ابن رئيستها وليس لأنهما سيكونان  
أخَا وأختاً في القريب العاجل، إذ إن هذا التحول في القربي لم تعد له  
تلك الأهمية الآن.

- كلا يا سيد رديرين، إنك لم توضح ما فيه الكفاية كما قلت، أنا  
أعمل لوالدتك وليس لك، ولذا لا أرى نفسى ملزمة بتلقي أوامرك.

زم شفتيه بشدة وقال متربعاً:

- لا أعتقد أنني أعطتني أوامر يا آنسة دافسون.

- قلت: يجب أن اتذكر أنني موظفة. أليس هذا أمراً؟

- كان طلباً.

- إذن وضح سبب هذا الطلب.

كان ردها لاذعاً وسريعاً. بدت عيناهَا كأنهما من فولاذ. أستند ظهره  
إلى الكرسى وتوقف عن الأكل وقال:

- سأشرح لك إذا كان لا يضيرك توضيح الكلام.  
- كن صريحاً.

أجبته بالنفقة اللاذعة إياها:

- منذ لحظة ذكرت والدى باسمها الأول دون أي لقب مما يدل  
على أنكم على صلة حميمة، وهذا غير مستحب بين رئيس وموظفو س.

ولسوء الحظ فإن لوالدى قلباً ليئنا حنونا وهذا كان سبباً في أن بعض  
موظفيها استغلوها في السابق..

فاطعنته بنى بحدة:

- لن أستغل أحداً وبكل تاكيد لن أفكِّر في الانتفاع من سيدة  
لطيفة كالسيدة رديرين:

لم يعد في إمكانها كبت جماح غضبها فارتفع صوتها تأثراً ولمعت  
عيناهَا من الغضب وقالت وهي محتدة:

- كيف تجرؤ على اتهامى بشئ، كهذا؟

- هدى من روحك.

قال بصوت هادئ:

- لم أوجه أى تهمة لك شخصياً، أنا فقط ذكرت حقيقة. كان والدى أمينات سر قبلك وكلهن كن ذوات دلال عليها وهذا شجعنى على الاستفادة من كرمها الطبيعي وكان أن صرفتهن بنفسى. أعطيك مثلاً عن أمينة السر التي كانت قبلك. نجحت في إقناع والدى باقراضها مبلغاً كبيراً من المال. ولو لا عودتى من إنجلترا في حينه وأيضاً للشيخ لذهب المبلغ أدرج الرياح.

صدقته بنى ولكنها لم تصدق أن أمها بالبساطة والسذاجة التي يلتصقها بها. ولكن قصته التالية جعلتها تتفضّل وتتبّعه لكل كلمة تخرج من فمه. قال إن عدة رجال تقدموا للزواج من أمها ومرة أخرى أنقذها تدخله من استفزازات كانت ستقع لا محالة. هنا تسارعت نبضات قلب بنى وهي تستمع إليه وتلاحظ كيف كانت شفتاه تتلويان من الاشتئزاز والازدراء عندما قال:

- كل أرملة ثرية هدف كلاب البحر الذين كل همهم مالها وليس...  
- لا أواقفك على هذا.

قالت بنى هي تسرع ونظر إليها ماكس متسائلاً عما ستصوّله:  
- ليسوا كلهم سواء. بعض الرجال يهتمون بها كإنسانة دون أي اعتباره مالها.

- ممكن، ولكن غير محتمل.  
- أنت شكلك بطريقك يا سيد رديرين.  
- أنا شكلك في أمور مثل هذه، وكما سبق وقلت إن الأرملة الثرية هدف لكل كلب ببحر. لحسن الحظ والدى تصنّف لنصائحى، وهذا وفر

عليها متاعب الواقع في حبائل المحالين.

- لكن... لكن...

كادت بنى تعبر له عن مخاوفها. هل ستتأثر السيدة رديرين برفض ابنها فلا تنزوج؟ تعلم أن نورا تهتم بوالدها كثيراً ولكن لماذا طلبت من بنى إلا تفاصيل ابنها بهذا الأمر؟ وهذا يعني أنها قد تصفع لتحذير ماكس. إلا أنها قالت:

- لفترض أن رجلاً أحبها لشخصها هي، هل تمانع في زواجه؟  
تبه ماكس إلى القلق في صوتها وأخذ يفكر، وفي الحال خفضت بنى عينيها لتخفى شعورها.  
- شيء واحد يثبت أنه يحبها لنفسها إذا كان يملك ثروة هو الآخر.  
وبعكس ذلك يكون حبه مالها وليس لها.

- أظن السيدة رديرين حرّة في تصرير مصيرها.

- والدى ذات حساسية وتعرف نفاثتها، كما تعرف أن كل رجل يعرض عليها الزواج يريد ثروتها فقط. ولهذا وعدت بألا تنزوج دون... دون موافقتى.

كم هو مغدور بنفسه! على الدم في عروقها ولكن ليس لديها حيلة. فالزواج لن يعقد الآن. وماذا تقول عن والدها الذي ينتظر حتى نهاية الشهرين المتبقين لتقاعده كي يأتي إلى خطيبته ويعقد قرانه عليها؟

استأنف ماكس أكله وتناول الرسالة وأخذ يتفحصها ثانية. وبعد برهة بقيت بنى وحدها بعد أن اعتذر ماكس وأخذ طريقه إلى بيت منخفض رمادي اللون يمكن أن يكون مكتبه. أرادت هي الأخرى أن

تنذهب عندما أوقفها مشهد جميل لفتاة جميلة تمشي كالغزال متوجهة نحو مائدة الإفطار.

- أوه... أين ماكس؟

قدّرت بنى عمر الفتاة بسبعة عشر عاماً.

- ذهب إلى ذلك البناء.

لكن الفتاة لم تتحرك وظلت تنظر إلى بنى بينما تفحصتها هذه سرعة وخفية. كانت رشيقة القوام شقراء ولها عينان زرقاواني وجه متكملاً وشفتان مستديرتان تفتران عن ابتسامة سحرية.

- أنت الآنسة دافدسوون؟ قال لي ماكس أنك ستمكثين هنا. ما هو شكل والدته؟

جلست على كرسي ماكس وقالت:

- إنني أرهب مقابلتها فتظاهرت بالمرض ولزمنت الفراش. وعندما أرسل ماكس تريزا لتأكد من أنني نهضت، ظهرت بالنوم. كيف هي؟

- إنك تعرفين اسمي. هل لي أن أعرف اسمك؟

دهشت قليلاً لهذا السؤال لكنها قالت:

- شيرلى. ماكس وصى علىي، ألا تعلمين ذلك؟

- وصى عليك!

ماكس هو آخر شخص تتصوره وصى على فتاة صغيرة كهذه، وتابعت بنى كلامها:

- كلا، لا أعلم بذلك. لم تذكر لي السيدة رديرين بأن ابنها وصى على أي كان.

- يشد فكرها أحياناً كما علمت. ولكن أليس غريباً ألا تكلمك عن؟ مضى ستة أشهر وأنا في وصايتها. أهتم بي ماكس بعد موتي والدى الذي كان قدّم له خدمة جلّى في إحدى المرات.

وقالت وهي تبتسم:

- ستنتزوج. ن AOLيني المربى من فضلك.

ناولتها بنى ما طلبت وهي شاردة الذهن. ماكس يتزوج؟... هذه البنية؟ توقعت بين الزواج بين نورا ووالدها، وأن يصبح ماكس أخاً لها نتيجة لهذا التقارب، ولكنها لم تتصور قط أن يتزوج وأن تقضي بهذه السرعة. تهافتت بأسى فقد كان كل شيء يسير على غير ما تصورت.

- متى سيكون زفافكم؟

- أوه، لم نعنين بتاريخه بعد. لكن حذار. لا تقولي شيئاً لماكس، لأنه لا يعرف بعد.

- لا يعرف بعد؟

سالت بنى مذهولة:

- الأمور تجري على ما يرام ولكنها تتطلب بعض الوقت.  
طبعاً، طبعاً.

صبت شيرلى بعض القهوة. كل حركة فيها كانت ناعمة وحلوة وصبيانية. وكانت تعرف أن بنى تراقب حركاتها... وكانت مسرورة بذلك.

- ماكس صعب المراس أكثر مما تصورت. كلهم هكذا.  
- افصحى عن كلامك لأنى لا أفهم ما تعنين.  
- الأوصياء صارمون وجامدون ولا يقعون في الحب، أليس كذلك؟  
تساءلت بني عن مدى صبر ماكس للاستماع إلى ثرثرة هذه الصبية  
والأنكى من ذلك، للوقوع في حبها.

- الأوصياء دائمًا يتزوجون من اللواتي هن في وصايتها... ولكن  
ليست في الحال لأنهم يصبرون طويلاً، ويمضي الوقت قبل أن يكتشفوا  
أنهم وقعوا في حبهن، أليس كذلك؟  
آسفة. لا أدرى.

- ألم يكن لك شاب صديق؟  
- كلا. كان لي معارف فقط.  
- يا للعار. كان لي العشرات منهم. كنت في مدرسة في إنجلترا  
وكان الأولاد كثراً.

تنهدت الفتاة بحزن.  
والأآن ليسوا هي متناول يدي... ولن يسمح لي ماكس لأنه يصر على  
أن يكون الأوحد.

## ٢ - الحقيقة قبل الأوان

أمضت بني ورئيسها أسبوعين في عبور الجبال والأودية كانت  
أثناعهما تدون الملاحظات والصيغة رديرين تجمع نماذج من الصخور  
الأثرية تحملانها في أكياس على ظهرهما وتعودان بها.

كانت بني تتبه رئيسها وهي ما تزال جائمة على ركبتيها تتباش في  
التراب أو تقحص قطعاً من الصخر تحت عدسة مكبرة، أو تحثها على  
الإسراع كيلا تضلا الطريق في الأدغال، وبالفعل تأخرنا في إحدى  
الأمسيات وسط منطقة حجرية معروفة بزيارة أمطارها وبظلامها الدامس.

- نحن في ورطة.

قالت الصيغة رديرين وهي تنظر حولها كمن يتوقع حدوث معجزة  
تعيدها إلى البيت.

سألت بني مذعورة قليلاً.

- لا يمكننا البقاء هنا حتى الصباح! هل نستريح قليلاً؟

كانت تعبة تحت ثقل الكيس على ظهرها.

- كلا يا بني. يجب أن نتابع سيرنا. أنا متأكدة من أننا في الاتجاه

الصحيح... في كل الحالات سننفذه إلى طريق ما حتى لو كان هذا الطريق في الجهة الأخرى من الجزيرة.

ثناشت نورا ثم أضافت:

- لا تاديه السيد رديرين، لا أحبد الرسميات بينك وبين ماكس.

- لكنه رسمي معنـى.

كان حلقها جافاً والكلام يؤلمها.

- قد يرسل ماكس بعضهم ليبحثوا عنا، خاصة وأنه يعرف وجهتنا بناء على معلوماتك له.

غطت نورا في النوم وعلا شخيرها، واشتبهت بني أن تحاكيها في قبول الأمر الواقع والاستسلام.

كانت الثانية صباحاً عندما وصلت إلى أذني بني أصوات تادي بدون توقف، بينما كانت نورا تقطن في نومها. أجبت على النداء وتجاوبت النداءات وعندما قطع أفاقت نورا من سباتها وقالت جذلة:

- نحن محظوظتان يا بني، من هناك؟

- سمعت صوت جان باتيست يناديـنا، ربما يرافقـه غيرـه من عمال المزرعة... نعم، هذا فليكس يصرخـ لنا - ردت عليه بـني وتراءـت لهـما الأن نقاطـ أضـواء المشـاعـل تتـلاـلاـ بين الأـغـصـانـ الشـجـرـ.

- شـكرـاـ للـلهـ، كـمـ سـعـيـدةـ أناـ بـرؤـيـاكـ ياـ ماـكـسـ!

هـفتـتـ نـورـاـ بـعـقوـبـتهاـ الـمـعـروـفةـ عـنـدـمـاـ بـرـزـ ماـكـسـ مـنـ بـيـنـ الـأـغـصـانـ الـمـتـشـابـكةـ.

كانـ كـلـ اـهـتمـامـ ماـكـسـ مـنـصـباـ عـلـىـ وـالـدـتهـ، وـرـأـتـ بـنـيـ أـنـ هـذـاـ شـئـ طـبـيعـيـ.

- أـنـاـ بـحـالـةـ جـيـدةـ يـاـ ماـكـسـ، جـيـدةـ جـدـاـ، لـكـنـ أـرـىـ أـنـ بـنـيـ مـتـعبـةـ.

أـلـيـسـ كـذـلـكـ يـاـ عـزـيزـتـيـ؟

- لا أـسـتـطـعـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ، يـجـبـ أـنـ أـتـوقـفـ.

كـادـتـ بـنـيـ تـجـهـشـ فـيـ البـكـاءـ.

- كـمـ مـنـ الـوقـتـ مـضـىـ عـلـىـنـاـ هـنـاـ؟

سـأـلـتـ بـنـيـ.

- أـظـنـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ، لـيـتـكـ نـبـهـتـنـ إـلـىـ الـوقـتـ يـاـ بـنـيـ لـكـاـ

الـآنـ فـيـ طـرـيقـنـاـ إـلـىـ الـبـيـتـ، تـمـنـيـتـ لـوـ أـنـكـ فـطـنـتـ إـلـىـ الـوقـتـ.

نسـيـتـ نـورـاـ مـرـةـ أـخـرىـ أـنـ بـنـيـ أـكـدـتـ لـهـاـ أـنـهـ تـبـهـتـهـاـ إـلـىـ السـاعـةـ فـيـ حـينـهـ

وـلـمـ تـعـلـقـ بـنـيـ إـذـ لـاـ فـائـدـ مـنـ ذـلـكـ، رـأـتـ أـنـ السـكـوتـ أـفـضـلـ، فـهـمـاـ تـجـهـلـانـ

نـقـطـةـ وـجـودـهـمـاـ وـمـاـ عـلـيـهـمـاـ غـيـرـ اـنـظـارـ اـنـبـلـاجـ النـهـارـ كـيـ تـعـرـفـاـ وـجـهـتـهـمـاـ.

تـمـلـكـهـمـاـ الـيـأسـ مـنـ إـيـجادـ طـرـيقـ قـرـيبـ فـجـلـسـتـاـ عـلـىـ شـجـرـةـ مـلـقاـةـ

عـلـىـ الـأـرـضـ.

- حـاـولـتـ أـنـ تـسـتـرـيـحـ يـاـ بـنـيـ... الطـقـسـ بـارـدـ وـلـكـنـكـ لـنـ تـشـعـرـ بـهـ

إـذـاـ لـمـ تـفـكـرـ فـيـهـ.

منـطـقـ مـعـقـولـ وـلـوـ أـنـ النـعـاسـ كـادـ يـقـتـلـهـاـ.

- لـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـنـامـ، هـلـ تـظـلـنـيـ أـنـ مـاـكـسـ... أـعـنـيـ السـيـدـ رـدـيـرـنـ

سيـكـونـ فـرـيقـاـ يـبـحـثـ عـنـاـ؟ـ إـنـهـ يـعـرـفـ أـيـ طـرـيقـ اـتـخـذـنـاهـ لـأـنـهـ يـسـأـلـنـيـ كـلـ

صـبـاحـ.

- صـحـيحـ؟

التفت ماكس نحو بني ورفع المشعل في وجهها فبهر عينيها.  
وبالرغم من أنها لم تستطع أن ترى وجهه إلا أنها تصورته حانقا  
غاضباً. لكن لماذا يغضب؟ قد يساوره القلق والغم حيال وضعهما، ولكن  
الغضب، كلا، ربما كان هذا من نسيج خيالها.

- أبك شيء غير التعب؟

سألها ماكس بحدة.

- أنا في أحسن حال.

- ماذَا حدث؟

- تأخرنا في عملنا بدلاً من أن نرحل في ساعة مبكرة.

قال محنتاً من الغضب:

- أفهمتك بصراحة أن أحد واجباتك الرئيسية هو تتبّيه والدتي  
عن الوقت والساعة. إنّي أعرف أساليبها. فهي تتّسّى حالها وهي  
غارقة في عملها. لماذا لم تتعّنى نصحي؟

كانت الرابعة صباحاً عندما دخلوا المزرعة حيث كانت تريزا  
تنتظرهم لتقديم لهم شراباً ساخناً.

لم تتمّ بني بسبب الألم في كتفيها وكانت طوال الوقت تفكّر  
بالشعور الغريب الذي أحسّت به عندما لامست يداً ماكس جلدتها.

- أين سيكون تجوالك اليوم يا عزيزتي؟

سألت نوراً وكانوا جميعهم يتّاولون الإفطار معًا.

- أعتقد أنك استكشفت كل الجزيرة الآن.

ابتسمت بني وقالت:

- ليس بعد. إنّي أفكّر في زيارة البجيرة العالية. إنّي لا تساءل، هل  
يغلّ الماء فيها؟ وسأغتيب هذه الليلة. أتمنّع عن ذلك؟

ووجهت بني السؤال إلى نورا ولكن شيرلي تكلمت قبل أن تجيب:

- هل أستطيع أن أرافقك؟ لا أعرف البجيرة ويقولون إنّها جميلة.

- سنذهب جمِيعاً إلى هناك.

قالت ذلك ونظرت إلى ابنها الذي أجاب بعد تردد:

- لا أستطيع هذا الأسبوع. لا يجب أن تذهبين بدون دليل...  
ويصعب جداً إيجاد دليل بهذه السرعة. وسأرتّب ذلك في وقت آخر.

لم تكن بني مستعدة لتلقى الأوامر من ماكس لذلك قالت بكل هدوء:

- فرأت الكثير عن المخاطر يا سيد رديرين، وأعرف طريقـي،  
وسأتناول وجبات طعامـي في لودان وسأقضـي ليـلـتي هناك.

كشف حزمـها في الرـد عن نـيتها في تحـدى ماـكس. نـظر إـلـيـها من  
طرف عـيـنه وصلـكـ أـسـنـانـه ثم قالـ:

- لا أشك في أنـكـ قـرـأتـ عنـ المـخـاطـرـ المحـتمـلةـ ياـ آـنـسـةـ دـافـدـسـونـ  
ولـكـ هـذـاـ لاـ يـعـنـيـ أـنـكـ تـعـرـفـ طـرـيقـكـ. إنـ رـحـلـتـكـ ستـأخـذـ إـلـىـ أـكـثـرـ  
جزـءـ مـنـ الـأـدـغـالـ الـكـثـيرـ الـأـمـطـارـ، هـذـاـ بـخـلـافـ الـأـغـصـانـ الـمـشـابـكـةـ الـتـيـ  
تـعـرـضـ طـرـيقـكـ. وـلـأـنـتـ لـاـ رـغـبـةـ لـىـ فـيـ الخـرـوجـ لـلـبـحـثـ عـنـكـ ثـانـيـةـ،  
سـاـكـونـ مـمـتـاـ إـذـاـ أـجـلـتـ رـحـلـتـكـ حتـىـ تـجـدـيـ دـلـيـلـاـ يـرـافقـكـ.

قالـتـ شـيرـليـ:

- سأطلعه يا عزيزتي في الوقت المناسب.

- سيكون والدى هنا بعد أقل من شهر. ولا أعرف ما أكتب له سوى عن الجزيرة وعن عملى. لم أذكر ماكس مطلقاً.

- لم تعتادى عليه بعد.

وضعت كتابها على السرير ونظرت في عيني بنى وقالت:

- أنت لا تحببئن؟

- هو لا يحبنى. شيرلى نفسها لاحظت ذلك... وعلقت عليه منذ لحظات.

- شيرلى؟ صحيح؟ إذن فالنفور بينكمَا جلى يا بنى.

وبعد توقف وجيز أضافت:

- أنت تجادلينه وهو له طرقه الخاصة.

- لست مرؤوسته ولن ألتقي أوامر منه.

- لا تنسى أننا ضيوفه. أنى أقدر متابعيك ولكن ماكس يجب أن يطاع وأعتقد أن كلامه هو نصح أكثر منه أوامر. وأفظنه على حق فى محاولته ليثبتينا عن رغبتنا فى القيام برحالة إلى تلك البحيرة بدون دليل.

تجاهلت بنى هذا الموضوع وتحولت إلى موضوع والدها وموضوع اطلاع ماكس على الخطوبة.

- كلما تأخرنا في ذلك كلما شعرنا بالظروف تضفت علينا لإخباره.

وبصراحة، فإنه سيلقى علينا كل اللوم لأننا لم نخبره حتى الآن.

- أنت محققة فيما تقولين ولكن ماكس أفكاره الغريبة حيال زواج ثان...

- سنكون في أمان، وأنا أثق في بنى.

- لن تذهبنا.

والتفت إلى طعامه ظناً منه أن هذه نهاية النقاش.

- سأذهب وحدي.

قالت بنى ذلك باصرار وهي تنظر بتحمّل في عيني ماكس. فبدأ عليه الذهول لأول وهلة ثم قال بصوت ناعم:

- مادمت تعيشين في بيتك يا آنسة دافدסון، سنتبعين جميع رغباتي. لا أريد أن تذهبى بدون دليل. وهذا مسلك الختام.

صعد الدم إلى وجه بنى وأحسست بمذلة لم تعرفها في حياتها. ارتقبت نورا ولكن بنى سكتت احتراماً لها وهي لا تكاد تخفي غليان دمها. وزاد من خيبة أملها أنها كلما جرى حديث بينها وبين ماكس يزداد النفور بينهما. وبعد أن كانت تتوقع أن تلقى ترحاباً من شخص قد يصبح أخاً لها، وجدت شخصاً كريهاً ومتكبراً، ومتربعاً ومعادياً.

وبقيت بنى تفكّر في نفورها من ماكس. ماذا سيحدث عندما يأتي والدها؟ وانتها فكرة فنهضت وذهبت إلى غرفة نورا.

دخلت بعد أن قرعت الباب وسمعت دعوة نورا لها بالدخول. كانت نورا مستددة بظهرها إلى رأس السرير تطالع. التفتت نحوها وتمتّت بعض كلمات مدح عن مظهرها.

- نورا، ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لاطلاع ابنك على خطوبتك لوالدى؟

لم تفاجأ كثيراً بهذا السؤال.

إلى الشرفة بعد تناول الشاي وفى يده كتاب. تناولت بنى كتاباً وجلست على كرسى قبالتة. ولا تدري إذا كانت حركة التواه شفتيه طبيعية أم علامة استياء. حاولت بعد برهة من الزمن الدخول فى حديث معه. وما كانت أجوبته كلها إيماءات أو مقتضية عادت إلى صمتها.

تهدت بنى بعد أن أفاقت من هذا الحلم ونظرت إلى ماكس. أدهشها وضعه قليلاً إذ إنها رأته منهمكاً في النظر إليها بكليته. مع ذلك كله كان الجو متوتراً بينهما، بالرغم من رومانسيّة الأمسيّة وجمال الطبيعة حولهما بأزهارها الزاهية وبنسيمها العطر وبأشجارها المحمّلة بالفاكهـة والبراعـم.

وقفت بنى والارتباك ظاهر عليها وانعقد لسانها، وأيقنت والحزن يحز في قلبها أنها فشلت في محاولتها.

- ما بك؟

سألها ماكس بصوته الجذاب:

- هل تتّأمين من شيء؟

- شعرت بألم طفيف.

أجبت وهي تضع ثقلها على رجلها:

- يوجد ورم بسيط لا أعرف سببه.

ضايقها هذا الحديث وأرادت أن تبعد عنه بأسرع ما يمكن فأخذت

تمشى وهي تعرج قليلاً:

- ورم؟

- أنت حرة في تصيرفاتك...

قاطعتها نوراً وشعرت بنى بخيبة أمل:

- أنا حرة طبعاً ولكن لا أريد أن أقطع علاقتي بماكس بسبب هذا الزواج.

- أالي هذا الحد؟ لا أعتقد أنه سيتجه إلى هذا التطرف.

- ربما لا. غير أنه يرتّب في أن كلّ رجل يريد الزواج من ي يريد فعلاً الزواج من مالي. هذه هي حالة الأولاد يا بنى. كان ماكس شاباً يافعاً عندما مات والده وحل محله ونصب نفسه حامياً لي.

- والأآن سيحميك من والدى.

فهمت نوراً شعور بنى بالمرارة وقالت:

- أنا متأكدة من أن ماكس سيحب جايمس عندما يتعرف عليه.

- إذن لماذا لا تخبر ماكس؟

- عما قريب يا بنى. أعدك بذلك. أنا أترقب الفرصة.

أخذت بنى تدرس هذا الموقف من جميع نواحيه فرأيت من الأنسب أن تقرب من ماكس وتلiven عريكته. بدأت أولاً بتفادي الدخول في جدل معه وأن تكون أجوبتها لبقة وخالية من لهجات العتب أو اللوم، وأن تحاول استعمال الابتسامة حيث يلزم. والخطوة الثانية هو أنها صممت على تجاهل عدم مبالاته بها، وعلى تجنب إثارة الشكوك في نواياها كى لا يرتّب في أنها تود مغازلته.

فطن ماكس إلى هذا التحول في بنى. وكان تجاوبه معها ضئيلاً جداً، إلا أنه شجعها على الاستمرار في محاولتها. ففي مساء أحد الأيام خرج

مد يده إلى المفتاح وأشعل النور:  
منذ لحظة قلت إنه من غير المستحسن أن تمشي حافية القدمين.  
هل عملت بتصحيحتي؟

- الحقيقة.. مشيت بدون حذاءٍ مرةً أو مررتين...  
- تحبين التحدى. تخرجين عن طورك ثم ترتكبين. دعيني أرى  
الورم، أخلع حذاءك.

استسلمت لإرادته كى تتحاشى الدخول في جدل معه،  
- كما توقعت.

قال بغضب وهي يفحصها:

لماذا لا تتعلمين الامتثال لما يقال لك؟

- هل هذا الورم خطير؟

- يجب إزالته. جان باتيست خبير في أمور كهذه ولكنه كان في  
عطلة اليوم ولا أدري أين أجده. سأقوم أنا بهذا العمل.

- لكن ما نوع هذا الورم؟

كانت مضطربة وهي تقبس حذاءها.

- قلت لك ألا تمشي حافية القدمين بسبب البرغوث الهندي الذي  
يخترق الجلد.

- صحيح أنك قلت لي ألا أسيء حافية القدمين ولكن لم تعطنني السبب.  
لم تر بدأ من تحصيغ خطأها وإلا لكان احترمت ارشاده.

- النصح وحده كاف دون إبداء السبب. والآن وجد برغوث عشاً له  
في جلدك وملاهٍ بيضا وهذا هو الورم، وإخراج هذه الحشرة مع بيضها  
يطلب مهارة خاصة كي لا ينتشر البيض في باقي أنحاء القدم.

تركها ليعود بما يلزم وأخذت تتخطيط ضاربة أخماساً في أسداساً  
عما قد يحدث لو انتشر البيض فعلاً كما يقول. عاد ماكس ومعه إناء  
ماء ساخن ومطهر، وابرة.

- ستأتيدين قليلاً. اللطف لا ينفع معه.

أحسست بألم شديد وكان وجهها شاحباً والعرق يتتصبب منه عندما  
انتهت. ولكنه تمكن بمهارة فائقة من استخراج البيض مع البرغوث  
كاملًا. وحذرتها مرة أخرى قائلًا:

- أني لا أقدم النصح للتسليمة. في المستقبل تقبل ما أقوله لك.

- سأفعل ذلك. وأشكرك لإنقاذه مني.

وقفت على قدميها ولكن قدمها السليمة لم تحمل ثقل جسمها  
عندما استدارت حول نفسها فارتقت إلى الأمام مادةً ذراعيها للارتفاع،  
فوجدت نفسها تقع على الأرض وصرخت:

- أوه... إنني لا أستطيع القيام

- ولما لم يسعني لأخذ يدها صرخت فيه:

- أنت... أنت كريه!

كانت عيناها جمرتين من نار.

- هونى عليك... لا معنى لطول لسانك هذا.

قال وهو يضحك

على الدم في عروقها ولم تعد تبصر شيئاً.

أنت.. أنت مغدور بنفسك متجرف. أنت متكبر!

وضربت الأرض بقدمها غضباً.

- كنت دائماً لطيفة معك لأنني أردتك أن تحبني كأخت لك... أخت،  
أسمع؟ حتى إذا تزوج أبي من أمك نوراً...

رفعت يدّاً مرتجلة إلى فمها لتمنع خروج المزيد من الكلمات، وآمنت  
إلي نفسها وهذا غضبها. فتح ماكس فمه مذهولاً ثم قال بصوت خافت:

- ينوى والدك التزوج من أمي؟

تذكرت اتفاقها مع نورا بعدم البوح بأى شيء لماكس في الوقت  
الحاضر. ما عسى أن تقول نورا؟

- ما كان يجب أن أذكر هذا.

قالت متسللة وشفتها ترتجفان:

- أرجوك، لا تذكر شيئاً لوالدتك. لم تكن تتوى أن تخبرك الآن.

- والدك... ووالدتي يتزوجان!؟

قطب حاجبيه ودللت ملامحه على الفيظ والاشمئزار:

- ومن سيعتمد هذا الزواج؟

- سيعتاد والدى بعد ثلاثة أسابيع وسيأتي إلى هنا، ليعقد قرانه.

- عندما سيعتاد هذا يعني أنه لن يعمل ليعيل والدته إذن؟

لم تجب بني ورفعت يديها إلى السماء يائسة.

- إن سنّه لا تساعدّه على العمل يا سيد...

لم تتم عبارتها. هل تناديه بلقبه أم باسمه الأول؟

- يملك والدى شيئاً من المال ولا يتوقع أن تعيله زوجته.

- لكن هذا ما يأمله والدك. ما نوع عمله الآن؟

وعندما أطلعته بني عليه، قال:

- صياد آخر للثروات...

- أنت مخطئ. لا يجب أن تقول شيئاً مثل هذا عن أبي. إنه يحب  
نوراً ونوراً تحبه...

- كيف تعرّفـا؟

- أنا عرفتها عليه.

- فهمت. آسف يا آنسة دافدسون. سأحبط مخططك هذا وتأكدـي  
من أنه لن يكون هناك زواج بين والدك ووالدتي.

- لماذا استيقظت مبكراً؟ ألم تتمام؟

كانت لوجهه عاديه وبيدو أنه نسي معاملته المخجلة مساء أمس.

- أزعجك اعتراضي على الزواج سوف تتسين ذلك. وهناك نساء غيرها لوالدك.

قالت بحده:

- أفهمتك البارحة أن والدى يحب والدتك. مضت اشتتا عشرة سنة على وفاة والدى لم ينظر خلالها والدى إلى أي امرأة. إنه ليس كغيره أياً كان رأيك فيه.

- لك مزاج حاد يا آنسة دافدسون.

- لم يكن لي هذا المزاج قبل أن ألقاك.

- تلوميني أنا؟

أدهشتني عبارتها ولكنه كان هادئاً على غير عادة منه. ورأت بني أنها لن تكون على قدم المساواة معه حتى في هدوئه هذا الذي يجعله أيضاً في موقع أعلى من موقعها، وهو موقع امرأة شرسه حسب ظنها. فحاولت أن تهدئي من غليانها وتكلمت بصوت عادى لم يخل بعد من رجمة خفيفة:

- منذ البداية لم تكن معاملتك لي سلسة يا سيد رديرين. وفي عدة مناسبات كنت تستفزنى عن عدم.

اتسعت حدقتا عينيه استغراباً ونظر فيها مدفناً:

- بيدو أن لك خيالاً واسعاً يا آنسة دافدسون.

### ٣ - رياح هادئة

لم يغمض لبني جفن تلك الليلة بعد الشجار بينهما. وكانت ما تزال مستيقظة عندما سمعت الجرس المعلق على شجرة المانغا. وهو يقرع إذاناً بيده العمل في مزارع الليمون التي ضمها ماكس مؤخراً إلى أملاكه. ويقرع أحياناً تحذيراً باقتراب إعصار.

نهضت بني من فراشها وأخذت تراقب العمال المحليين وهم ذاهبون إلى العمل، وعلى رؤوسهم قبعات القش الواسعة، وكان منظرهم يجلب السرور إلى القلب وهم ينشدون بلهجة البلد التي لا تفهمها.

كان حمام السباحة في وسط حديقة استوانية يتصور المرء وهو فيها أنه في وسط الأدغال. وتحيط بالسبح نباتات تفوح بأريج الأزهار العطرة، وعن بعد قليل يحيط بها ستار من أشجار النخيل الشامخة، والطريق المؤدي إلى المسبح غني بالأشجار المزهرة على كلا جانبيه، كل شجرة منها تباهى بجمالها ورونقها، والرائى يبقى مذهولاً بعناديد بالراغم والأوراق والأزهار المتموجة في الشمس كخأنها جمر يزيد الغروب من وهجه الساطع.

ولم يطل بها الوقت حتى لحظت ماكس بين الأشجار قادماً.

أثر الاذداء باقياً في شفتيه الملتوتين غير أن تعابير عينيه وأساري  
وجهه انفرجت بأعجوبة... تلاشت نظراته القاسية، تلاشت تجاعيده  
البشرة وحل محلها هدوء وابتسامة خفية. حرك هذا التحول المفاجئ  
شعوراً غريباً فيها مشوباً باضطراب غير اضطراب الخوف أو الحقد  
أو الاذداء.

بقيت نظرانهما مقاطعة، وهو مسلطاً عليها سهام عينيه وهي  
مأخذة بها. تورد وجهها ورأت ذلك في عينيه وهالها أن تحس نشوته  
في انتصاره على مشارعها. فهل ما زال يعتقد بأنها تغازله رغم  
انكسارها الشديد؟ نعمته بأنه متكبر ولو لا انشغاله بقضية زواج والدتها  
لكان صفعها أو عاملها بطريقة مهينة لا هوادة فيها. أخيراً وجدت في  
نفسها القوة للتذكرة بموعده الإفطار.

- الآن، السادسة والنصف؟

كان واضحاً أنه يضحك منها ويجد متعة في ذلك. وقف هو الآخر  
وكان تقريباً ملتتصقاً بها. ودت لو أنها تتمكن من اذلاءه بالطريقة التي  
يذلها بها ولكن هيئات...

وبعد نصف ساعة كانا جالسين إلى مائدة الإفطار في ظل شجرة وارفة.

- لا أدرى إذا كانت أمي ترغب في تناول فطورها في الفراش.

ونظر إلى نافذة نورا، ولكنه لم يذكر اسم شيرلى التي لم تأت بعد.  
وأنت تريزا بفاكهة من إنتاج المزرعة. لم تدق بنى قواكه الاستواء من  
قبل مثل النارنج الهندي وغيره. كان فكرها منشغلًا بقضية والدها  
وتجرأت وسألت ماكس:

- على العكس. أنت نفسك غير عالم بموافقاتك المزعجة.

هنا عزمت بنى أن تفرغ جرابها:

- لم تحبب إلى منذ البداية ولا أدرى لماذا، ولم تحاول أبداً اخفاء  
جفائك لي. ومن الصعب على أن أصدق أن للسيدة رديرين ابنًا مثلك.

شعرت بنى أن عبارتها الأخيرة تعدت حد اللياقة وتوقعت أن يرد  
عليها بأحد منها ولكن حصل العكس من ذلك:

- اعتبرك فضة جداً يا آنسة دافدسون، ولو وانتي فكرة الأخذ  
بالثار لوجدت نفسك في وضع لا تحسدين عليه. في كل الأحوال، بما  
أني أشعر بخيبة آمالك في فسخ خطوبتك والدك فإن أنا غاضب عن  
فضيلتك هذه...

- أنت حقاً كريه!

وأضافت وهي تقف حانقة:

- كيف يكون رد الفعل لديك إذا فسخ أحد ما خطوبتك ووقف  
حائلًا بينك وبين من تحب؟

رفع حاجبيه ترفاً وفتح فمه عن ابتسامة كلها ازدراء:

- حيث إنه لن يكون هناك أي احتمال أن أقع في حب أحد، فإن  
سؤالك ليس ذات قيمة.

حتى آمال شيرلى ذهبت أدراج الرياح بهذا التصرير. ولكن بنى لا  
تزالت متأثرة بحنانه عندما اعتني بقدمها المتوردة وخاصة مساء أمس.

لم يحول نظره عن عينيها وأرادت تجنبه إلا أنها لم تستطع. وظل

- في نيتى بحث هذه المسألة معها فى أقرب وقت ممكن. لكن لا تخاف لأنى سأوكد لأمن أنك أخبرتني بطريق الصدفة.

قبلت بنى بهذه النهاية. فى كل الأحوال وضع وصول نورا حدًا لحديثهما. كانت شيرلى معها لأنها ما فتئت تلازمها منذ بضعة أيام كى تكسب ودها أملة بأن تكون حماة لها ذات يوم.

- هل تأخرنا؟ أنا آسفة يا ماكس.

قالت ذلك وجلست.

- أين كنت؟

قال موجها سؤاله إلى شيرلى:

- كنت أتحادث مع والدتك...

رفعت يدها وأنت تريزا لتلبى طلبها.

- لا أريد أى فاكهة، فقط بيضاً مقلباً من فضلك.

- وأنا أريد نفس الشيء.

قالت نورا.

- سأقى بطبق كامل واختارا ما تريدان.

بعد الانتهاء من الإفطار انهمكت نورا وبنى فى عملهما فى المكتب حتى قرع جرس الغداء عند الظهر، وعندها قررت بنى أن تسبق ماكس وتخبر نورا بنفسها وتعترف بغلطتها:

- إذن هو يعرف الآن:

- هل ستطلع والدتك على الحديث الذى دار بيننا الليلة الماضية؟  
- أن لي علمًا بالخطوبية؟ طبعاً.

- كلا... أرجوك.

أخذت تفرك يديها:

- دعها تخبرك بنفسها. ستفضب منى لأنى جعلتك تعرف. كنت أحياناً لقول لك ولكنها كانت دائمًا توكل ذلك لأنها تخشى....

قطعت بنى كلامها لأنها كانت على وشك أن تقول شيئاً ربما أغضبه. عقد بين حاجبيه وعادت إيه نظرته القاسية:

- تتوهين أن والدى تخشانى؟

- أنت قلت إنها تسترشد بك.

أجبته بطريقه دبلوماسيه:

- وتلکؤها فى اطلاعك على خطوبتها هو شكها فى موافقك.

- تعرف والدى أننى لن أوفق مطلقاً.

قطع جوابه الطريق على بنى وفضلت عدم الدخول فى جدل كيلا تثير مشاهد كالسابق. وطلبت إليه فقط أن يتريث ريثما يأتي والدها فيتعرف عليه ثم يحكم. تشجعت بنى عندما تغيرت ملامح وجهه مثلما تغيرت من قبل فقالت:

- أرجوك أن تنتظر حتى تطلعك هي بنفسها.

ولكن ماكس كان يهز رأسه قبل أن تنهى جملتها:

عبست نورا في أول الأمر ثم هزت كتفيها وابتسمت قائلة:

- كان على أن أطلعله منذ زمن، لكنك وفرت على هذا العناء.

دهشت بني لهذه النتيجة الحسنة ولكنها قالت:

- كانت زلة لسان وأنا اعتذر، لكن ماكس ضد فكرة الزواج.

- هذا منظر، آخرون سبقو والدك وكانوا كلهم يجررون وراء الثروة.

ولكن هل قبلت بأحد منهم؟

- لم أقبل أيا منهم يا بني ولكن بسبب قلب الين يخشى ماكس على من الوقوع في براثتهم.. سيرتاب في جايمس بادي الأمر ولكنه سيطمن إاليه بعد أن يعرفه.

- تعنين أذلك...؟

لم تصدق بني ما سمعت:

إنك لن تدعى ماكس يؤثر عليك؟

- ساتزوج من والدك يا بني، رضي ماكس أم أبي.

أجابتها نورا بجد لم تمهده هيها.

أصاب بني دوار في رأسها من صدمة المفاجأة، ورأت درجة الحماقة القصوى التي جعلتها تعتقد أن كلمة ماكس لا يعلى عليها وهي كلمة الأمر والنهي.

- هل جادة أنت فيما تقولين؟

- بكل تأكيد، أحب جايمس وأنا موقنة من حبه لي.

تطلعت في بني باستغراب:

- ما الذي جعلك تظنين أنى ضعيفة حتى أخضع لرأى ابني؟

- ترددك في اطلاعه على خطوبتك... خاصة في الآونة الأخيرة.

- كان في نيفي انتهاز أول فرصة مؤاتية لأخبره بذلك، ولكنني وهنت عندما رأيت أن نوعاً من العداء قام بينكمَا منذ الوهلة الأولى... لا أدرى سببه طبعاً.

لم تر بني ضرورة لسرد كل ما حدث، غير أنها ذكرت كيف زلت لسانها عندما تكلمت عنها، وذكرت اسم نورا مجرداً من أي لقب بدل أن تقول «السيدة رديفرين» مما أثار حنق ماكس، إذ رأى في هذه التسمية الفña غير مستحسنة بين رئيس ومرؤوس.

- لا يلام على ذلك لجهله بالعلاقة بيننا ولاعتقاده أنه قلة اعتبار لي كريسيسة لك.

- أفهم أن خلافى مع ماكس كان سبباً في كتمانك خبر الخطوبة عنه.

وأشارت برأسها إيجاباً وبعد تفكير وجيز قالت نورا:

- ليس السبب الوحيد، ولكنه عامل في صب الزيت على النار، وكانت أمل أن يرافق الحال بينكمَا، وكانت أتضاعيق جداً عند سماعي عبارات «السيدة رديفرين، الآنسة دافدסון». إنه لضحك حقاً.

- ليس الخطأ خطأ.

- أخذ ماكس قوة الإرادة عن والده وحسن امتلاك الغير والشخصية المترفة، على الغير أن يطليعوا أوامره وأن ينصاعوا لتصايعه.

عذبت بنى على شفتيها واعترفت ضمناً بحقيقة هذا الواقع غير أنها تعالت عن الاقرار به.

- بذلك تعنين أن كل اللوم يقع على وحدى.
- كلا يا عزيزتي. لا أجزم بذلك لأنني أعرف كل ما جرى بينكمما.
- أنت متربدة في تمويرى وكذلك ماكس.

قرع الجرس ونهضت نورا وقالت وهي تفتح الباب.  
- من سوء الحظ أنك لم تتكيفي بعد جو القريبي التي ستقوم ببننا  
بعد الزواج.

- صحيح أن الأشقاء الحقيقيين يتشاركون. ولكن لست الملامة في كل هذا. وأنت تعرفيين كيف كنت متشوقة لاكتساب أخ لي و كنت أتمنى أن يشعر ماكس، الشعور ذاته.

- لا أعتقد أن ماكس سيتحمس لأشياء مثل هذه.  
هذا هو رأي بني أيضاً. حتى إذا سر ماكس بأن تكون له اخت لن يعتبرها اختاً. ستبقى بالنسبة له ابنة لزوج أمها. أضافت نورا تقول:

- بالرغم من كل شيء، عليكما أن تتسامحا وتعاونا كي نقضى السنة المقبلة بانسجام مقبول وهدوء.

- سبقى هنا ستة أشهر أخرى؟  
سألتها بني غير مصدقة.

- حتى أنتهى من كتابي صحيح أن الكتابة يمكن أن تكون هي أي مكان، إلا أن الشمس والبحر والمناخ الجميل هنا ستفيدنا إفاده جليلة.

رأى بنى فى نظره نورا إليها ما تعنى طباع وعادات ماكس. لم تر فارقاً بين أمر يصدره ونصح يسديه وعلى الغير العمل به. استأنفت نورا كلامها قائلة:

- في المزرعة يكن له العمال اعتباراً كبيراً لأنّه يعاملهم بالحسنى،  
إذا هم احترموا كلمته التي هي بمثابة شرع وقانون. لن يستطيع إنسان  
التغيير من طباع أبني، وإذا أجبerte الظروف أن تتحكى به فعليك أن  
تتكيفي حسب تلك الظروف...

- هذا خضوع للسلط، أليس كذلك؟  
وبالرغم من لهجة التحدى كانت بني تفكير هى استعمال الطرق  
اللبيقة معه.

- لا يا عزيزتي، كلمة تسلط فيها مبالغة. ولا يستطيع ماكس أن يستبد بك، إلا أنه يتوجب عليك استعمال الليونة والتفهم، فترى أن كفة الصداقة بينكما سترجع على كفة التفور.

- لكن... أنا لست غير متفهمة يا نورا. لي إرادتي أنا أيضًا، ولـ  
رأيي، ولكن ماكس يفقدني صبرى فكيف لا أحـاول صـدـه؟

- يظهر أنك تجدين الأشياء غير سلسة. تحبين الجدل. ألم تجادليه عندما نصحيك بعدم القيام بالرحلة إلى البحيرة دون دليل، كان هدفك أن تذهبين لتجديه فقط، وأرجو أن تكون مخطئة هي ظني.

الا تعتقدن ذلك؟

- وهكذا وضعت نفسك في مأمن من الملامة، إيه؟
  - نورا مصممة على الزواج من أبي. كنت بلهاء، إذ حسبت حساب تدخلك.
  - نظرت إليه لترى مدى تأثير هذه الكلمات فيه.
  - قلت لك إن والدتي تحترم نصائحى ووعدت ألا تتزوج دون موافقتي المسبقة.
  - استعملت عبارة «موافقة».
  - ووقفت بني.
  - إذا أردت الدقة في التعبير استعملت كلمة «سماح».
  - وما الفرق؟
- في تلك اللحظة بالذات بربت سحلية وتربيست لفراشة جميلة كانت تحوم حولهما. وبحركة كالبرق اختفت الفراشة في جوف السحلية. تأملت بني لهذا المنظر وضحك ماكس قائلاً إن هذه هي سنة الطبيعة وعلى الإنسان ألا يراقب كل شيء، ولا مات غماً. ولكن ماكس يهرب بجمال عينيهما اللتين كانتا تعبران عن الشفقة. ورأت بني أن السحلية لم تبرح مكانها وقالت بأن حيواناً آخر سيفترسها، أفعى مثلاً.
- والآن تشتفقين على السحلية. لا تخافي. إن أفاعي وحيات الجزيرة لا تأكل ذوات الدم البارد.

التفت ماكس إلى بني وسألها شيئاً هو آخر ما كانت تتوقعه منه:

- هل تجدين متعة في إقامتك على الجزيرة؟

- أوقفك تماماً. المكان فردوس جميل.

هذا ما كانت تتمناه بني... المköoth هنا مدة كي تتقرب من ماكس وتعرفه جيداً.

- فردوس حقاً. ويسرينى أن أتقاعد عن العمل هنا، بعد بعض سنوات طبعاً. هذا إذا رغب جايمس في ذلك.

وصلنا الآن إلى الباب وتحت بني جانبًا لترك نورا تمر قبلها. ولكنها سألتها وقد أدهشها القسم الأخير من كلامها:

- هل سترضين حقاً برغبات والدى، أي ستتقاعدين إذا طلب منك ذلك؟

- على المرأة أن ترضي رجلها إذا أمكن ذلك. نعم، سأتوقف عن العمل إذا رغب جايمس في ذلك.

ذهبت بني إلى الحديقة في صباح اليوم التالي وووجدت أن ماكس قد سيقها. جلس كلاهما على حافة البركة وقال ماكس دون مقدمات:

- سبقتني إلى والدتي لتوصلى إليها خبر زلة لسانك عن الخطيبة. كان صوته قاسياً ولكن جذاباً.

- نعم. أردت إعلام نورا بنفسى.

لم يرق له استعمال كلمة نورا بدون لقب، ولكن بني تجاهلت هذا وتابعت كلامها:

- خشيت ألا توضح لها ما فيه الكفاية فيقع اللوم على.

- سألك أية صورة كونت عنى في مخيلتك، كوني صريحة لأنك  
تعرفين أنني خبيرة أماليك.

- هل تحب الصراحة؟ ظننتك مثل نورا، لطيفاً و... و...

- لين القلب؟ لا عجب في أن خبيرة ظنكت، معاذ الله أن أكون مثل  
والدتي!

- إنها طيبة ولطيفة.

أجبت بنى على الفور غير مخفية غيظها:  
- وساذجة وسليمة الطوية.

- أبي يحبها لشخصها ونورا مقتنة كل الافتئاع بذلك. سيسعدان معاً.  
- هل أنت متاكدة من أنهما سيتزوجان؟

- إنك تكلمت مع والدتك بخصوص هذا الموضوع وبذا أصبحت  
على علم بعزمها على الزواج.

- فعلاً، كانت أمي مصممة وحازمة، ولكن أمي ستحترم رأيي في  
نهاية الأمر.

لم ترد بنى التعليق كيلا تدخل في جدل معه وبذا تخسر هذا التقارب.

- خبيرة ظنكت فيني يا بنى إذا لم تجديني... طيباً... ولطيفاً... أوه،  
وعطوفاً. وما هي توقعاتك الأخرى التي لم تكتمل؟

لم يرق لها بريق السخرية في عينيه كما لم يعجبها التوبيه الظاهر  
في كلامه. هل هو مستاء من نفسه لأن خبيرة ظنكتها؟ لـ تعتقد ذلك،  
ولكنه ينتظر جوابها باهتمام بالغ.

هذه هي المرة الأولى التي يظهر ماكس فيها اهتماما ولو يسيرا بشخصها.  
- الجزيرة جميلة جداً.

- ولكن الناس الذين عليها ليسوا كذلك؟ لم تجيبين على سؤالى.  
- بلى، أحب هذا المكان كثيراً.

ارتباً أن يكون في صوتها شيء من الندم لقولها هذا فقال:  
- لم تجدى هذا المكان حسب توقعاتك؟

لم تجب وتساءلت بينها وبين نفسها، هل قرأت أفكارها؟

- هي ذلك المساء أبدين ملاحظة أفهم منها أنك تريدينني أن  
أعاملك... كاخت لي. أخبريني يا بنى، كيف كنت تتصروري؟

- ناديتني باسمى الأول، بنى.  
قالت مندهشة قليلاً.

يبدو أن الجو أثر فيه.  
- آسف، زلة لسان فقط...

- كلا، أرجوك.

تسرعت في الإجابة ولكنها تابعت:  
- يسرني أن ت ADVOCATE بهذا الاسم... دائمًا.

كان الواحد ينظر إلى الآخر دون أن ترف له عين، ورأى هو تورد  
وجهها وحول نظره ومن ثم يقول:

## ٤ - عودة إلى الماضي

كان يوم السبت يوم السوق المكشوفة في روزو. اتجهت بني وشيرلي إلى المدينة لتشتريا بعض الحاجيات. وكانت بني ترغب في الحصول على أشغال يدوية محلية مثلا السلال والأصداف لترسلها إلى أصدقائها في إنجلترا. كانت السوق تعج بالناس، خاصة بالزنجبيل اللواتي كن يلبسن قبعات عريضة جداً لتنقيهم حر الشمس.

- إذا أنا ليست قبعة مثل تلك، هل تلائمني؟

- إنها تلائم أي واحد لبساطة شكلها.

لم تثر هذه القبعات اهتمام بني لأنها عادية وغير أنيقة، أما شيرلي فقد ابنتها واحدة لنفسها ولبسها.

- أووه، يا للصيادة الحسنة. اعتدت أننا لن نلتقي ثانية.

- غراهام!

ابتسمت بني عندما استدارت لتبعد الصوت وتشاهد أمامها الشاب الأنثى، رفيقها على ظهر القارب الذي أقلها إلى الجزيرة.

- كم مسرورة أنا بليبياك. أقدم لك صديقتي شيرلي.

- كان أملني أن تستبقلنني كأخت لك، وكنت مطمئنة إلى أنك ستسر بهذا الزواج الذي سيؤمن لوالدتك رفيق حياة يوليها كل عناء.

توقفت وهي تعي بأنه يتفحص بريق عينيها الشديد ثم قالت:

- أعتقد أن الرجال ينظرون إلى هذه الأشياء من زاوية أخرى، لكن أنا... بقينا أنا ووالدى نعيش بمفردنا مدة اثنى عشرة عاماً وكنت دائماً أنشوق إلى الحياة في وسط عائلة سعيدة.

كانت وهي في مجرى كلامها تفكر أنه من التفاهة بمكان أن تكلمه بهذا الأسلوب عن حياتها الخاصة، غير أنها رأت تغيراً في ساحتها إذ بدأ أكثر جدية. هل هي الطبيعة في هذا الفردوس الصغير؟ حتماً، كانت بني سابحة في تأملها، منسجمة مع الطبيعة بل مندمجة فيها عندما دفعها حدس في داخلها لأن تلتفت إليه. رأت في عينيه نظرة غريبة جداً، نظرة كلها حنان وعطف، فأخذ قلبها ينبض بسرعة وهي تتنتظر منه أن يتكلم.

- هذا مرافق في الحياة يا بني، أن تكوني جزءاً من عائلة...

- ماكن!

كانت هذه شيرلي آتية نحوهما وهي تقفز قفزات الفرزال اللعب. رأتها بني عن بعد في فستانها الأخضر والبرتقالي.

شهقت عندما وصلت لاهثة بشعر مشعر أضفى عليها جمالاً فوق جمال.

- هل تأخرت؟ كان عليك أن ترسل في طلبـي.

توقفت قليلاً لستعيد أنفاسها.

- سأكون تلميذة ممتازة اليوم، سأجتهد كثيراً.

- لكنك لم تذكر اسم غراهام لنا مطلقاً.

مالت شيرلى دون أن تحول نظرها عنه:

- متى تقابلتما يا بني؟

- على ظهر السفينة.

قال غراهام غير عابئ بشيرلى: اتصلت هاتفياً مرة أو مرتين وقيل لي إنك كنت في الخارج.

- في الخارج؟ قالت بني بدهشة ظاهرة: من أجابك على الهاتف؟

- خادم يدعى ما�يو. هل ذكر لك أنه اتصلت؟

- إنه ينسى كثيراً. أعتقد أنه نسي فور إعادة السماعة إلى مكانها.

- ماذا تعملين هنا؟ هل السلال لك؟ (سألتها وهو يشير إلى سلطين كانت تحملهما):

- هذه هدايا سأرسلها إلى إنجلترا.

- أتعجبك قبعتي؟

سُئمت شيرلى من إهمالهما لها وتوسطت عن عدم بُين بني وغراهام لتفى سؤالها. دهش غراهام وتمت كلمة استحسان ثم وجه انتباهه مرة أخرى إلى بني.

- ما قولك في فنجان قهوة في فندق فورت يونغ؟ لي صديق مقيم هناك وله شقته الخاصة.

- جميل، ولكن ألا نزعجه؟ ماذا تقولين يا شيرلى؟

- عظيم، ولم لا؟

- هل انتهيتما من المشتريات؟

قالت شيرلى إنها انتهت وبين أنها اكتفت بما لديها. وتأبط غراهام ذراع بني وأخذها يفتحان طريقهما وسط الجموع الحاشدة.

- أتمنى أن تكون هناك تشكيلة أكبر من مخازن الألبسة، تذمرت شيرلى بصوت حزين:

- ليس لدى ما يكفي من الثياب.

- أنت؟ عندك أكواوم وأكواوم منها!

قالت بني بحدة.

- إنها تبدو أكواوماً في نظرك فقط. أنا معتادة على أكثر من ذلك.  
- شيرلى في وصاية ماكس.

قالت بني إجابة لنظرة استياضاح من غراهام.

- لم أعرف أن ماكس وصى على أحد.

- كان والدى صديقاً لماكس. وتوفى منذ سبعة أشهر مضت واحتوانى ماكس ليعلمنى بي. ولكننى عشت في إنجلترا قبل ذلك وهذا سبب افتقادى لمحلاط الأزياء.

- هل تحبين العيش مع السيد ريفيرن؟

سألتها غراهام وهما يدخلان زفافاً ضيقاً.

- ماكس...؟ نعم.

- بطبيعة الحال كنت أظن أن الكل على علم بذلك،  
وتابع كلامه مرتباً:  
- في كل الأحوال تتوقعين وصول والدك في القريب العاجل.  
- في خلال أسبوعين  
- يأتي والدك بعد أسبوعين؟ ولم يخبرني أحد أنه سيتزوج بوالدة ماكس...  
كان كلامها عتاباً لا تذمرأ. ولما لم يأبه لها أحد أضافت شيرلى بصوت فيه شيء من التحبيب:  
- سيكون لي أذن حمو.  
- سيكون لك حمو؟ لماذا؟ هل أنت مخطوبة لماكس؟  
كان سؤال غراهام سؤال استغراب لا سؤال استيصال.  
- ليس بعد، ولكنني سأتزوجه، أليس كذلك يا بنى؟  
- أنت تقولين ذلك.

كانت زلة لسان غراهام عندما ذكر خطبة والد بنى مزعجاً لها، إذ أن شيرلى ستعيد ذلك على مسامع ماكس وقد تسوء الأحوال بينه وبين بنى، ولذا اختصرت الحديث لقطع الطريق على ثرثرة شيرلى. ولكن هل من الممكن اقناع شيرلى بأن تضيّط لسانها أمام ماكس؟  
كان فندق هورت يونغ يطل على ميناء روزو وغرفة تريفور صديق غراهام كانت في الواجهة الأمامية. سر جدًا بلقائه بالفتاتين وخاصة بشيرلى التي اجتذبته.

- لماذا ترددت؟ ألسنت متأكدة  
- أوه، إنه لطيف. على الأقل يلاطفنى أكثر مما يلاطف بنى.  
- كيف؟ أليس لطيفاً مع بنى؟  
- كلا، إنه لا يطيفها، أیحبك يا بنى؟  
ارتبت بنى وأحرمت خجلاً عندما التفت غراهام إليها. تذكرت أن غراهام أعطاها انطباعاً بأنه لا يحب ماكس عندما قال إنه يأمل إلا يخيب أملها في أخيها الجديد.  
- إن شيرلى تبالغ...  
- لا أبالغ. إن ماكس لا يجامِل بنى البتة وهي الأخرى لا تجامِله. إنهم لا يتقاهمان.  
- أهناك مشكلة يا بنى؟  
سألها بصراحة:  
- ألا يعبد زواج والدك بوالدته؟ لم أقل لك شيئاً في حينه. وهذا هو سبب جفائه نحوك؟  
- إن...  
توقفت شيرلى على الفور لفرط ذهولها:  
- بنى، إنك لم تعلميَنِ بهذا.  
- هذا شيء يخصنا وحدنا يا شيرلى.  
التفت غراهام إلى بنى واعتذر لزلة لسانه قائلاً:

- تريفور هو الآخر في المدرسة الرسمية.

قال غراهام بعد المقدمات:

- إنه يدرس علم الطاقة الفيزيائية أو طاقة الطبيعيات.

قال تريفور وكله نظرات إلى وجه شيرلي الجميل:

- أي نوع قهوة تريدون، عربية، فرنسية؟ حلوة أو مرة؟

- هل تريدين مساعدة؟

قالت شيرلي بصوت لهجته الطلب لا السؤال:

- إنني أحسن صنع القهوة.

- وأنا كذلك. تعالى معى إذن وساعديني.

وبعد أن اختفي في المطبخ قال غراهام والاضطراب باد على وجهه:

- وجدت ماكس على عكس ما توقعت ولكن كما توقعت أنا. لا أعرف عنه الكثير، أعني شخصياً. ولكن كل من حوله ينظرون إليه بشيء من الرعب. صحيح أن عمالة المحليين يجعلونه إلا أنهم حريصون جداً لثلا يثيروا غضبه. ماذا حدث؟ هل رغبة أمها في الزواج هي التي أثارت التفorum بينكم؟

ترددت بنى قليلاً قبل الإجابة. ولما لاحظت أن غراهام كان متلهفاً لسماع إجابتها رأت أن تشرح له ولكن بلباقة، ودون أن يشعر أنها أخذت عنه بعض التفاصيل.

سمعها رنات من الضحك ولم يخف غراهام انزعاجه.

- ما ظروف هذه الفتاة؟

- شيرلي..؟ كان ماكس ووالدها صديقين كما قالت لك. لا أعرف أكثر من ذلك لأن نورا لم تتحدث عنها كثيراً. ولكن يظهر أن والدها قدم خدمة محترمة لماكس فأخذتها تحت كفه بعد وفاة والدها.

- هل هو وصي شرعى؟

- أشك فى ذلك، بالرغم من أن شيرلى تؤكد.

- وهل سيتزوجان؟ لا يعقل أن يتزوج السيد ريفيرن زوجة له فتاة رعناء مثلها.

- لى انطباع إنها ليست رعناء كما تريدينها هى أن تصورها. أما ما تقول من أنها وماكس سيمتزجان فإنه من نسج خيالها. ولا أعتقد أن ماكس يبالى بها فى هذا الإطار إلا إذا كنت مخطئة.

- لماذا تؤكد هي ذلك؟

- هذا يحدث فى الكتب. الوصى دائمًا يتزوج الموصى عليهما كما هو فى كتب القصص. شيرلى رومانسية العاطفة كما تصورها أنا.

- أتفقك الرأى إذا كان هذا كل ما تمناه. هل تعتقد هي أنه سبق فهى حبها؟

- أخشى أن تخيب آمالها إذا لم يتحقق خيالها.

- ليست من طينته.

- أكد لي ماكس إنه من غير المحتمل أن يقع فى حبها، ولكن من يدري؟ كانت شيرلى واقفة بالقرب من مقعد غراهام، ويبعدو أنها دخلت

- قد نقوم برحلاة... إلى البحيرة الغالية مثلاً؟
- يقوم سام إنه من الخطر الذهب بدون دليل.
- هراء. أعرف طريقى. هل ستائين؟
- أحب ذلك. لا ترى أنه يجب أن يكون معنا دليل؟
- بعض الناس يحتاجون إلى دليل. لم أستعمل واحداً في حياتي.
- حسناً... إذا كنت متاكداً من أنت لن نضل طريقنا.
- لا تخافي.

وهكذا تم الاتفاق بينهما أن يتقابل صباح السبت المقرب فلربما المسيرة في طريقهما يزوران مكاناً أو مكانين لهما أهميتهما.

استقلت بني وشيرلى سيارة تاكسي لتعودا إلى البيت. وكانت طريقهما وعر تسير في محاذاة الشاطئ على ارتفاع قليل في سفح الجبل. كان شعر بني يقف من الرعب كلما أطلت من نافذة السيارة. ولكنها اعتادت على المرتفعات العالية والمنعطفات الحادة المليئة بالأخطار.

- بني، ما قولك لو تبادلنا؟

قالت شيرلى ذلك واستراحت في جلستها وضحك.

- تبادل ماذا؟

- أنا أرافق غراهام. هل تميلين إلى تريفور؟

ضحك بني ورفضت قائلة:

- لا تبادل يا شيرلى. أنا سعيدة بغراهم.

- دون أن يحسا بها. وتابعت وكانت تحمل صينية القهوة:
- عما كنتما تتكلمان؟ ما الذي فاتنى من حديثكم؟
- عمن كنتما تتكلمان؟
- كررت شيرلى سؤالها:
- من هو الرجل ذو السلطة؟
- قالت بني:
- هذا لا يهم.

ولكن شيرلى قاطعتها:

- أظن أنكم كنتما تتكلمان عن ماكس.

أخذت شيرلى في صب القهوة ولم تتبين بني إذا كانت في حالة غيظ أم لا، ولكنها كانت تبسم تلك الابتسامة الجذابة عندما رفعت رأسها.

- فرضًا لو كنا نتكلم عن ماكس... .

لم يبال غراهام بإشارة خفية تحذر.

- هل تعتقدين أنه رجل ذو سطوة؟

- إنه... سيد الموقف.

خرج جميعهم من الفندق وان تريفور وشيرلى يسيران جنباً إلى جنب في المقدمة. فسأل غراهام بني:

- ماذا تقولين في موعد ثلثي فيه؟ هل أنت طليقة في نهاية الأسبوع؟

- نعم، ولكن ما...؟

فكرت في ذلك؟ ماكس يثبت يوماً بعد يوم أنه العازب الأبدى.

- ما الذى يدفعك إلى الاعتقاد بأن ماكس لن يتزوجنى؟

كان فى نغمة صوتها ما دل على برود فى الشعور يتخلله ابتسام على شفتي شيرلى الصبيانيتين وتابعت قائلة:

- أنا وماكس متفاهمان تماماً. ربما لاحظت ذلك.

- لكنه ليس عطوفاً... أوه، هذا ليس من شأنى يا شيرلى. ما كان يجب أن أبدى تلك الملاحظة. أرجوك، انسيها:

- أنت لا تصدقين أنه سيلتزوجنى. أو.. أو أنك تظنين أنه سيبادلك الحب؟

- شیرلی -

صرخت بني بغضب شديد وهى تحسب بحرارة فى وجهها:  
- لا تهربى. أنت التى أبديت الملاحظة المتعلقة بعدم التفاهمن بين ماكى وبين ماكس وبين ماكس لى، وأنت تعلمين أن ذلك غير صحيح.  
- صحيح أنه لا يحبك. توقفت شيرلى عندما انعطفت سيارة التاكسي فجأة لأن الطريق أمامها كانت تسده شاحنة موز، وعلا شجار بين السائقين اقتطع بعده سائق الشاحنة بأن يتراجع قليلاً ليفسح المجال للتاكسي ليعبر في هذا الطريق الضيق الملتوى.  
في صباح يوم الأحد التالي توجهت بني بعد الإفطار إلى خليج صغير اكتشافته بعد مدة قصيرة من وصولها إلى جزيرة دومينيكا. كان الطريق المؤدى إلى هذا الخليج الرملى محاطاً بأشجار العليق الكثيف

قلب من حرير

أظهرت بني شيئاً من فراغ الصبر رغم أنها كانت تتسلل باقتراحات شيرلي الصبيانية.

- ألم يخطر على بالك أن علينا استشارتهم أولاً؟

- لن يبالي أى منها.

ولما لم تعلق بني على كلامها استسلمت وهى تتنهد بحسرة.

تحولت بني إلى مسألة اقناع شيرلي بala تخبر ماكس أنها تعرف الآن عن الخطوبة بين والدها ووالدة ماكس، وطال النقاش بينهما.

كانت طيلة الوقت تقلب في ذهنها السؤال الأكثر اقناعاً. وفجأة بانت الفيلا حيث تقطعنان ولم تفاجئ شيرلي إلا في اللحظة الأخيرة.

- لم لا؟

- ۵۷ -

هالٰت شیرلی، معترضة:

- يجب أن يعلم ماكس أنى أعرف، خاصة أن والدك سيكون حمواً لي، لماذا أهلمنى الجميع ولم يعلمنى بشئ؟ كان أولى بك أنت أن تطالعينى على هذا الأمر قبل غيرك إذ أنتا سنكون سلفتين.

- شيرلى، ألا تعتقدين أنك بتكلمين عن الأمور كأنها أصبحت حقيقة واقعة؟

ندمت بني لتسريعها في إيداع هذه الملاحظة، غير أنها تغادر على مصلحة شيرلي لأنها ستنهار كلّاً إذا انهارت آمالها. وتابعت بني كلامها رغم نظرة الاستفهام في عيني شيرلي:

- تبدين أكيدة أن ماكس سيتزوجك. فرضًا لو كنت مخطئة؟ هل

قلبها أنها فقدت ثقتها في نفسها أكثر من أي وقت مضى. سأله:

- هل هذا الخليج ملك لك أيضًا؟

- نعم، هو جزء من أراضي.

تكلم بعد تردد وحيز وسائلها دون مقدمات لماذا اطلعت شيرلى على الخطوبة.

- لم تخف شيرلى ذلك عنك.

قالت معترضة:

- كانت هفوة مني... صديق لي التقى به على ظهر الباخرة كان يعرف هذا الأمر فسمعته شيرلى صدفة أيضًا.

- إذن لم تطلبها أنت مباشرة.

- ما كنت أفضى لهذا لها علمًا مني بشعورك.

- غراهام. آه، صحيح، ذكرت شيرلى اسمه. كيف عرف بالخطوبة؟

- أنا أخبرته ونحن على الباخرة عندما كنا في الطريق إلى هنا.

اغمض عينيه قليلاً وقرأت بني أفكاره. إنها لا تجيد كتمان شيء لنفسها، وتطلع أي إنسان أو عابر سبيل على أي شيء. فلماذا تهتم الآن بشعوره، ولماذا أخذت تهتم به في المدة الأخيرة؟

- كنت أنت وشيرلى مع غراهام هذا يوم البارحة كما قالت لي. وهناك فتاة أخرى ستخرج معها شيرلى مساء الغد. هل هذه الفتاة صديقة لغراهام؟

ولكن الوائل إليه ينسى تعبه عندما يمتنع نظره بجمال المنطقة. والخليج يمتد على مساحة كبيرة ببركانى النظيف الناعم كالطحين.

استقلت عندما غطت رأسها بقبعة قش واسعة ووضعت على عينيها نظارات شمس سوداء. ولم تمض لحظة حتى ذهبت في سبات بتأثير نسيم البحر وحرير حركة الماء.

ولكن فجأة أفاقت على صوت تحنح خفيف قريب منها. وعلى الفور جلست وهي ترتجف بسبب المفاجأة، وبسبب مواجهة صاحب الكوخ رفعت نظرها. من كان واقفًا فوقها؟

- ماكس!

خرجت هذه الكلمة من فمها تلقائياً. اعتذرت له وسألته وهي تتظر إلى الكوخ:

- هل هو لك؟

أومأ إيجاباً وجلس على الرمل قبالتها.

- يبدو أنك تأتين إلى هنا بانتظام.

- لم أعلم أن الكوخ لك.

- اكتشفت هذا المكان بعد أن أتيت إلى هذه الجزرية بوقت قصير، وأتي إليه كلما استطعت.

وتشعرت شعر بني وبحركة عصبية ارادت أن تضع قبعتها على رأسها لكنها أعادتها إلى مكانها على الرمل. وشعرت واليأس يملا

- فتاة؟ أية فتاة..

فطلت إلى خطتها وعدلت الأمر إذ قالت:

- آه نعم، هي صديقة.. لفراهام.

وأى اسم ستعطيه إذا سأل عنه؟ فسبقته إليه وقالت:

- ميريل فيرياتكس...

- ميريل فيرياتكس...

وكان يتكلم مع نفسه.

- غريب، لم أسمع أن أحداً يحمل هذا الاسم.

- هل تعرف جميع سكان هذه الجزيرة؟

- جميع البيض منهم، أو أعتقد أنى أعرفهم جميعهم... بالاسم على الأقل فى كل الأحوال. يجب أن تكون هذه الفتاة جديدة هنا. يأتينا أحياناً موظفون أو متطوعون من الشؤون الاجتماعية. هل تعرفين شيئاً عنها؟

- كلا، لا شيء.

- ما رأيك فيها؟ هل تؤمن على شيرلى؟

ها قد أوقعت نفسها فى ورطة. كان عليها أن تحذر شيرلى من الأساس قالت:

- أعتقد أن شيرلى ستكون فى أمان برفقة هذه الفتاة.

- قد أقابل هذه الفتاة أولاً. ما زالت شيرلى أصغر من أن تميز بين الأصدقاء.

- أوه، لكنى قلت إن لا بأس من رفقتها. أؤكد لك ذلك، يا سيد...  
يا سيد... وترددت بني متلعثمة قليلاً.

- ناديتك بني مؤخراً ومن العدل أن تقاديني ماكس.

ها جأها بابتسامة ويقوله الذى أدهشها كثيراً:

- إذا تركنا الرسميات جانبًا ربما تتحسن العلاقة بيننا.

هل يريد فعلاً تحسين العلاقات؟ هل لأن بالنسبة إلى زواج والدته بعد أن تحدثت معها؟ كان ينظر إليها فردة عليه بابتسامة حلوة وودت لو أنه يتبع حديثه الودي.

تمدد ماكس على الرمل ووجدت بني أن لون بشرته داكن مثل لون الرمل البركانى. وكان جسمه غير البدين ممثلاً صحة بفضل نشاطاته اليومية فى المزارع والسباحة. سيعمر طويلاً دون أن يشيخ. إلا أن شيئاً فيه كان يغيرها. فالرغم من التقارب الحميم وجو الطبيعة القى توحى بالآلفة والسلام، لم يتغير وضعه نحوها. يحافظ وجهه على قساوته فى كل الظروف كأنه قدّ من الصخر.

- أشكرك على هذه الفرصة الحلوة التى متعنتى ببرؤية المرجان.  
هذه خبرة لا تتسى.

- يوجد لدينا قارب قعره من زجاج. كما توجد أقنعة للتنفس تحت الماء. سنتمكن من مشاهدة كل شيء بصورة أدق.

- آه، أحب هذا كثيراً.

قالت ووجهها يطفح بشرقاً:

يدفعني إلى اليقين أن لا أحد يهتم بها شخصياً بكل إخلاص كما يهتم  
بمالها.

- ما هي هذه الوجوه التي تقلق بالدك؟ يدهشنى أن تجد كل ذلك  
في والدتك.

- أنا لا أجد عيباً فيها، بل حقائق. يجب أن تعرفها. إن والدتي  
تعيش نصف وقتها في الغيوم. تستطع ولا تخطط. وكثيراً ما تتمنى كل  
شيء في حياتها الشخصية هي سبيل عملها. هل ستتجدين رجلاً يحب  
امرأة لها هذه الصفات؟

- محتمل كثيراً، بل أكيد. عندما تحب شخصاً تعمى عن هذه  
الأشياء.

- يا فتاتي. كلامك غير مقنع ودفعاك عن والدك ضعيف. أنا  
شخصياً لا أحظ أموراً كهذه واضجر منها وابتعد عن امرأة هذه  
صفاتها.

وأضاف وهو لا يحيد نظره عنها:

- وأى رجل غيري يفعل مثل... إلا إذا كان اهتمامه محصوراً في  
شيء آخر.

- يحصر والدى جل اهتمامه في والدتك لا في مالها.

- طبعاً أن تقولي هذا، ولكن الأمر يختلف في الواقع. كان قبل  
والدك غيره من الرجال. كفى نقاشاً في هذا الموضوع. لقد أوفينا  
حقه من الإيضاح.

- هل ستتأتي... أعني هل من عادتك أن تتجول في هذا القارب  
مستعملًا جهاز التنفس؟

ضحك من وجهاً الذي بان في لون وجهها. قال:

- كنت في السابق أقوم بذلك. أما مؤخراً فلا تسمح لي أعمالى.  
أما إذا رغبت في رفقتي فسيكون من دواعي سروري أن ألبى طلباتك.  
جلب وضعه هذا وعرضه اللطيف الارتياب والسرور إلى قلب بني.  
لو تابعاً هذه الألفة في كل الظروف لشعرت بسعادة ونشوة دائمة.  
وفكرت أن تستغل هذا القارب فتشجعت وفاحتته بموضوع الزواج:

- الزواج يا ماكس. هل قبلت به الآن؟

انتفض ماكس وتبيس جسمه وقال باقتضاب:

- كلا يا بني. لا أقبل به. ورأيي هو أن على والدتي أن تتخل عن  
فكرة الزواج.

- ولكن لماذا؟ إذا كان هذا سيجلب لها السعادة... إذا كان هناك  
أحد يحبها...  
- الحب؟

رفع حاجبيه استهزاء:

- لماذا تصررين على ذلك؟ تعرفين تماماً أنه لا يوجد إنسان يرغب  
في والدتي لشخصها.

- لماذا تتصور ذلك؟ حتى في أمك ذاتها؟  
- كونها والدتي هو ما يقلقنى. لوالدتي عدة وجوه في طباعها مما

## ٥ - المتأمرة الصغيرة

لم ينبع أحدهما بكلمة واحدة وهمما عاشران إلى البيت. وبينما كانت بني تسير بجانبه كانت تحترس من أمرها. فهما على وفاق تام حيناً وعلى اختلاف تام حيناً آخر، وكلما فتحت بني الموضوع استعداد ماكس موقفه المتشدد منها. وكانت تعلم بسلبية موقفه عندما تفتاحه بقضية زواج والدته، ولكنها ترى أن المثابرة قد تؤتي ثمارها.

عندما وصلتا كانت شيرلى ونورا جالستين بالشرفة. كانت عينا شيرلى منتفختين من البكاء وفي يدها منديل مبلل.

- ما الأمر يا طفلتي؟

كان صوتها حنوناً وقلقه على شيرلى حقيقةً لم تعهدهما فيه من قبل:

- هل تتألين من شيء؟

- كانت بني على الشاطئ عندما وصلت إلى هناك، وكانت فرصة لتنكشف الحديقة المرجانية.

- لم تأخذنى ولا مرة إلى تلك الحديقة.

- لكنك لست على حق ولا تلين لك هناء. إنك حكمت على والدى قبل أن تقع عينك عليه.

كانت عيناهما تتولسان وهي تعلم بعدم جدواً جهودها.

- لك الحق أن تعتقد بما تفكّر، ولكن لا أهمية لذلك لأن نورا عازمة كل العزم على الزواج من والدى، وافقت أم لم توافق.

- غمق لون وجهه وضاقت فتحنا عينيه وقال:

- قلت وأفهمتك أن الزواج لن يكون. وأعيد وأكرر الآن، بالرغم من عزم والدى سأحاول كل جهدي لمنعه.

- لا تستطيع منعه!  
- سترى.

- كيف يمكنك منعه؟

كانت ترتجف داخلياً رغم ثقتها الظاهرة:

- لا توجد أية وسيلة لديك.

- الوسيلة تأتي من حيث لا تدرين. من واجبى حماية أمى من ضيادى الثروات وتأكدى من مقدراتى على ذلك.

نهضت شيرلى لتفصل وجهها وبني لتغير ثيابها. وبينما كانت هذه الأخيرة في غرفتها قرعت شيرلى على بابها ودخلت. كانت شيرلى مرتبة الشعر مهندمة ولكن آثار البكاء كانت بعد بادية على وجهها.

- ماذا عملتما بعد الظهر؟

كان سؤالها حزيناً ولكن في غير محله بالنسبة إلى بني التي قالت:

- ماذا تعنين بسؤالك هذا؟

كانت شيرلى تفرك يديها بعصبية ظاهرة وتبلع ريقها بين الحين والآخر.

- لا أعتقد أنك ستأخذين ماكس مني. هل ستأخذينه؟

- سأخذ... ماذا تقولين؟

- أجيبي على سؤالي بكل صراحة.

- طبعاً سأخذنه.

- لكن هل تحببئنه.

كانت عيناهما الزرقاءان تبحثان عن جواب بالهفة. التفتت بني إلى المرأة وبدأت تسرح شعرها:

- في الحقيقة لا أفهم ما تعنين. ألم تقولي أنت بنفسك أنني وماكس لا ننقاهم؟

- أعني تميلين إليه يا بني، لا أقول تحببئنه.

- هراء!

أجابها ماكس بحزم ولكن بلطف أيضاً، وتناول كرسياً وجلس بجانبها واضعاً ذراعه على كتفيها.

- لماذا لا تطالعين؟

- لا أحب المطالعة وأنت تعرف ذلك. وكنت وحدى كل هذا الوقت لأن الوالدة أوت إلى فراشها لستريح، ولم تهض إلا منذ هنيهة.

- لم أكن غافقة يا عزيزتي. كنت فقط أستريح لأنني لا أتحمل الشمس.

ونظرت إلى السماء. حمدًا لله، فالملط آت وسيربط الجو.

الأمطار على هذه الجزيرة تهطل بغزارة، وعندما تتوقف وتبرز الشمس يتتصاعد البخار من الأرض ويغف كل شيء لأن المطر لم يكن.

- ستمطر في خلال ساعة أو أقل.

ربت ماكس على كتف شيرلى وقال:

- ستناول الشاي معًا الآن وسأخذك في نزهة. هل هذا يعوض عليك وحدتك؟

ابتسمت شيرلى ابتسامة ممزوجة بالدموع:

- أنا وأنت فقط؟

- نحن الاثنين فقط.

هذه مفاجأة أخرى تستولى على بني بسبب التحول المفاجئ نحو شيرلى. هذا ليس دليل حب لها، بل عطف وشفاق ومحبة.

كانت تحاول عبثاً تغيير مجرى الحديث.  
- أنا خائفة، أريد ماكس، أريده، أريده.  
- وفي الوقت نفسه تغازلين شاباً آخر، أين الإخلاص.  
- هذا فقط للتلهم... لأرى مدى جاذبيتي. ولكن ماكس هو الذي أريد.

وضعت شيرلى رأسها بين يديها وغرقت في النحيب.  
كانت بارعة في تمثيل دور الفتاة المهملة كي تجذب انتباه ماكس وعطفه... أو هكذا ظلت بنس، لكنها ترى الآن أن شيرلى صادقة هي إيمانها بحبها لماكس. وفهمت بنس طبيعة عاطفتها. إنها مازالت فتاة صغيرة تعيش وحيدة في جو ليس جوها أصلًا، وتفتقد والدها الذي لا يعيش.

نهضت وجلست إلى جانبها. لفت ذراعها حول جسمها وأخرجت منديلها فأخذت تجفف عينيها.  
- شيرلى، أهديني يا عزيزتي.  
- أنت... صديقتي، أليس كذلك؟  
- بكل تأكيد سأكون صديقتك.

كان صوتها مخنوتاً ومبحوراً من التأثر ومن الشعور بالذنب. لونها فطنت إلى هذا قبل الآن... ولكن سطحية سلوك شيرلى خدعتها. ومن جهة أخرى وجدت شيئاً من راحة الضمير عندما تذكرت أن غراهام أيضاً خدع بموقف شيرلى. وصممت في نفسها على أن

- إنه جذاب للغاية وسهل عليك أن تقعن في حبه، وخشيتك من ذلك منذ البداية. وبصيبينى الهلع بمجرد التفكير أنه قد يلاحظ فيك الجمال الفتان...

- أرجوك يا شيرلى، أنا لست جميلة وماكس يعرفنى الآن تماماً، فلا تقلقي.

كانت بنس ترتعش كل الوقت متاثرة بعبارات شيرلى من أنها قد تقع في حبه بينما هي تريد أخاً...

- أنت جميلة وعيناك واسعتان وداكتنان وشعرك... له ظال كستائي وفيه لمعان دائم...

- توقف يا شيرلى!  
قالت بنس بلوهجة الأمر لأن شيرلى أصبحت مزعجة.

ولكن هذه تابعت:

- بشرتك ووجهك... أوه، كل شيء فيك كامل. غراهام مثلًا، يفضلك.

- التقينا على ظهر السفينة ولم يكن يعرفك آنذاك!  
- ولكنه لم يلق حتى نظرة عابرة على.

- وترىفور، ألم تجذبيه؟ كان كله عيوناً عليك.

- تريفور ليس إلا مغافلاً لا يعرف الرزانة.

- أجوبتك بدبرية وفورية.

وَمُشَارِبِهِمْ .

- أنت مقتuesta بأنه لن يتزوجنى أبداً، أبداً.
- بكت ثانية فشدت بني عليها وهمتها بقوه:
- أنت جد صغيرة بعد لتفكيرى فى الزواج. أمامك طريق طويل وأشياء كثيرة.

- ولکن کیف؟

مدت ذراعيها إلى الأمام بيسأس:

- مَاذَا أَجِدُ هُنَا؟ أَعْيُشُ فِي عَزْلَةٍ يَا بَنِي. أَنَا وَحْيَدَةٌ مِنْذِ الْيَوْمِ  
الْأَوَّلِ مِنْ حَيَاتِي هُنَا.

- صحيح أن هذا المكان لا تسلية فيه. ولكن اطمئنى يا شيرلى  
أعدك أنك لن تشعرى بالوحدة طالما أنا هنا.

- أوه، كلمة شرف؟ أنا أخذتني، حيث تذهبين؟

- نعم، سأخذك معى. وسيحصل والدى فى أسبوعين وستحببىنه يا  
شيرلى، وعندما أكون فى عملى ستراافقينه فى تجولات تقومان بها لأنه  
يحب أن يرى كل شيء. هل ستتعالجين هذا من أجلى؟

- أحقاً تريدين ذلك مني؟ قد لا يحبني والدك.

- لا يجب أن يشغل بالك بالناس. والدى سيحبك وسيجد متعة كبيرة في رفقتك.

هزتها من كتفها وتابعت كلامها:

تعاملها بغير طریقتها السابقة.

- لن تحاولى أن تدفعنى ماكس ليحبك؟ أتعذّر؟  
مسجّت دموعها بمنديل بنى، وأعادته اليها.

- لا تخافي من حب ماكس لي كما تظنن. وإذا كان وعدى يقنعك  
هانز، أعدك.

- أتعتقدون أنه سيتزوجني؟

ضيق هذا السؤال الخناق على بنى التي كانت تريد أن تدخل في موضوع آخر، غير أنها قالت:

- هل درست مشارعك تماماً نحو ماكس؟ أنت تفتقدين والدك يا  
شيرلي، ومن المحتمل أنك تجدين في ماكس شخصية والدك وتماثلين  
الواحد بالأخر، ولذا تريدين أن يحل ماكس محل والدك.

- كلا... أحب ماكس حبًا يختلف عن حبى لوالدى.

- لم تعطل كلمات بنى الأثر المطلوب وكان جواب شيرلى متحمساً.  
تنكّرت بـ تأكيد ما كتب، أنه لن يقع في حـ امـة مـ حلـقاً هـ قالـت:

- اشتهر ماركس بأنه الأعزب العزباء - أتعد في ذلك؟

- كالحال بغيره في النهاية

قالت شهداء بعناد

- لا يا عزيزتي، ليس كلهم. بعضهم لم يخلقا للحياة الزوجية، كما لم تخلقه، بعض النساء لأن يتزوجن. الناس مختلفون هـ، مأذيعهم

حظها، بينما كانت السيدة رديفرن تحاول مواتانها بأنها ستأخذها معها إلى البحيرة يوم الأحد التالي.

- قد نقنع ماكس بأن يرافقنا. أيعجبك هذا؟

- أريد أن أذهب اليوم.

عندما رأى بنى غراهام قادمًا عن بعد ذهب إلىه قبل أن يصل إليهن وكلمه عن حالة شيرلى النفسية وطلب إلىه أن يوليها شيئاً من الاهتمام واللطف ولهذا أبدى غراهام رغبة في مساعدته شيرلى.

- لماذا لا تستطيع شيرلى أن ترافقنا؟ إنها راشدة ويمكنها أن تقرر ما تريده.

- نعم، أنا راشدة. سأتى وإن أغضب ذلك ماكس.

- لن يغضب فحسب بل سيثور أيضاً.. وخاصة على.  
- عليك أنت؟

- نظرت شيرلى إلى بنى مستفربة:

- لماذا يحنق منك يا بنى؟

- لأن فكرة الرحلة فكرتى ولأننا ذاهبون بدون دليل.

هزت شيرلى كتفيها استخفافاً ونظرت بنى إليها بشيء من القلق.

- آسفه يا شيرلى، لكنك لن تأتى. كما قلت، سينحنق ماكس.

- فعلًا سينحنق.

قالت نورا وهي تنظر إلى جبل البركان البعيد والضباب الذي

- تعالى، فقد يفقدان صبرهما وهما ينتظرانا لتناول الشاي.

كما توقعت شيرلى، رفض ماكس السماح لها بمرافقته بنى وغراهام إلى البحيرة في نهاية الأسبوع، وأبدى ملاحظات شديدة اللهجة يحذر بها بنى من هذه المجازفة. لكنها أقنعته أن هذه الرحلة ستنعمها كثيراً.

- لا تتوقعني إرسال بعثة استكشاف إذا ضاللتما الطريق. وإذا دفعكم تهوركم إلى عدم اتباع نصحي، تدبوا أمركم بنفسكم.

- قد أخذ بإرشاداتك لو أنك تصوغرها في قالب إرشاد حقيقي، ولكنك تجد متعة في إلقاء الأوامر فقط.

- لا فرق بين الاثنين إذا كانا في مصلحتك. والمسؤولية مسؤوليتك طالما تعرفين صالحك. لا تتوقعني أية مساعدة.

- لن ينتهي بنا الأمر إلى هذا الحد. يعرف غراهام ما هو مقدم عليه.

وكالعادة انتهى الجدل وشعرت بنى بمرارة وخيبة أمل حتى أنها كادت تلفي الرحلة. وأتى غراهام بعد افطار صباح السبت.

- تريفور آت أيضًا.  
قال غراهام.

- وسيصل بعد بضع دقائق. أنا دعوته لينضم إلينا كيلا يبقى وحده هل يضيرك هذا؟

- كلا، البتة.

ولدى وصول غراهام كانت شيرلى جالسة على سطح الشرفة تتدبر

السيدة رديرين مشفولة في عملها؟ أليس كذلك يا سيدة رديرين؟

- هذا صحيح.

وعادت نورا تتأمل الجو المحيط بالجبال البركانية ثم قالت:

- نعم، لدى الكثير من العمل.

غضت بني على شفتها. كانت قد عرضت عليها أن تساعدها ولكن نورا رفضت رفضاً باتاً، قائلة أن بني يجب أن تستمتع بعطلة نهاية الأسبوع طالما هي مقيمة على أرض هذه الجزيرة.

- إذن، سأذهب مع بني وغراهام كما يرود لى.

- طبعاً يا عزيزتي...

وكان واضحًا أنها لم تتبه إلى ما تفوحت به. وأضافت أن عليها أن تدون بعض الأشياء قبل أن تتساهلا، ثم نهضت ودخلت إلى البيت.

ولما وصل تريفور بعد بضع دقائق، جربت شيرلى قوة جاذبيتها عليه. وكان يتوقع طبعاً أن تكون شيرلى طرفاً في الرحلة. وبعدأخذ ورد أخذت بني تتحجج، فاقتصر تريفور وضع القضية للتصويت.

- آسف يا بني، خسرت في التصويت.

قال غراهام وهو يضحك عليها لأنها كانت مكتوبة.

- قالت بني:

- أفضل إلغاء الرحلة على أخذ شيرلى معنا ضد رغبات ماكس.  
الآن نستطيع الذهاب في وقت آخر؟

يفطليه متوقعة المطر بعد قليل.

وكانت تنتظر ظهور قوس القزح الذي يسبق ذلك، وأضافت:

- أرى أن نذهب إلى البحيرة يوم الاثنين أو الثلاثاء من الأسبوع الآتي يا بني، حيث يوجد هناك عمل لأبحاث لا يستهان به في تلك المناطق.

- لا تفكري في عملك الآن يا سيدة رديرين.

قاطعتها شيرلى بصوتها الصبياني:

- أنا ذاهبة مع بني وغراهام.

- لست ذاهبة.

قالت بني بحزن وفكرة أن تقترح على غراهام تأجيل الرحلة:

- قلت أنك ستاخذيني حيث تذهبين وما أنت تحظين بوعدك.

- لماذا لا تستطيع أن تأتي معنا طالما سيعفيك ماكس حتى يوم الاثنين كما همت منك؟ وإذا اتفقنا جميعنا على عدم إخباره فلا تعود أية أهمية لهذا الأمر.

- لا شيء يخفى على ماكس. وشيرلى لن تأتي معنا يا غراهام.

والتفتت إلى شيرلى قائلة:

- وسنذهب جميعنا يوم الأحد المقبل كما قالت السيدة رديرين،  
ويوم الأحد ليس بعيد.

- وما عسانى أن أعمل وحدى في عطلة نهاية الأسبوع بينما تكون

كانت مضطربة كثيراً من احتمال غضب ماكس بسبب تحدي شيرلى لإرادته، إلا أنها لم ترد استفاد قواها في الجدل طيلة نهاية الأسبوع. سنترك هموم يوم الاثنين ليوم الاثنين عند عودة ماكس.

كانت وجهتهم جنوبية شرقية عبر جبال وعرة لكنها من أجمل المشاهد في الجزيرة. كان الطريق إلى لودان سهلاً نسبياً، واتفقوا أن يقضوا الليل هناك ثم يتوجهون بعد ذلك إلى البحيرة يوم الأحد صباحاً. وفي طريق عودتهم من البحيرة سيغدون على لودان حيث يستأجرون سيارة جيب لتقلهم إلى منازلهم التي تبعد حوالي ثمانية كيلومترات عن روزو.

بعد لودان عليهم أن يقطعوا جبلين ارتفاع كل منها حوالي ألف متر. هناك أيضاً مستعمرات وأودية حادة الانحدار عليهم عبورها. كما أن عليهم شق طريقهم خلال غابات كثيفة خطيرة الانحدار. هناك أراض زلفة وغدارة أيضاً. بالإضافة إلى كل هذه المخاطر عليهم اكتشاف الطرق والمرات التي أخفتها أغصان الأشجار المتتشابكة وحجبت عنها حتى الشمس. وفيما هم يتعثرون في سيرهم على نتوءات الجبال أو في وسط الشجيرات الكثيفة، تأكدت بني أن المسيرة أخطر بكثير مما اعتقاد غراهام. غير أن لهم قوة الشباب ونشاطهم، وفي النهاية اقتربوا من وادي الفقار حيث توجد البحيرة الغالية. تابعوا سيرهم بمحاذاة جداول تحدى من الجبال، وهناك انبساطت أمامهم البحيرة تفلى وتزيد وبخارها يقفز عالياً في الهواء.

- هل هذا جدير بالجهد الذي قمنا به؟

- لماذا التأجيل؟ شيرلى تعرف ما تفعل ولها مطلق الخيار، لذا سنذهب كما اتفقنا.

بينما كانت شيرلى تستعد للرحلة ذهبت بني إلى المكتب حيث وجدت نورا تفحص قطعة من حجر تحت المجهر. انزعجت نورا قليلاً لتوقف عملها.

- نورا، جئت بخصوص شيرلى. لو أنك لا تشغلين...

- لكنني أشتغل يا بني.

- نجحت شيرلى في اكتساب تريفور إلى جانبها، وهي مصممة على أن تأتي معنا متهدية بذلك رغبات ماكس.

- صحيح؟

توقفت نورا عن عملها ورفعت رأسها.

- أليس اسم الشاب غراهام؟ أوه، أنسى كثيراً هذه الأيام.

- تريفور شاب آخر، صديق غراهام وهو آت معنا في الرحلة.

- شاب آخر؟ أصبحا اثنين الآن؟

ونظرت في المجهر وقالت: هذا معدن الميكا، لا.... قلت اشأن؟ في هذا الحال لن يكون اعتراض ماكس وجيهها بوجود شابين قويين يعتيكان بما. كلا يا بني، لا أعتقد أن ماكس سيمانع. اذهبا وانشرحا... جميعكم.

انتظرت بني بعض الوقت وهي في حيرة من أمرها ولما استأنفت نورا عملها تركتها بني وخرجت.

وبعد مسيرة ساعتين لاحظت بني أن غراهام لم يكن متيقناً من طريقه، وأن شيرلي بدأت تبتاطأ في مشيتها.

- هل نحن على الطريق الصحيح؟

سألت بني بقلق شديد:

- هذا ليس الطريق الذي أتيتنا منه.

- فكرت في سلوك طريق آخر...

وأخذ غراهام يدبر نظره حوله.

- هذه المنطقة تختلف تماماً. كلها أعشاب.

- لا تقل إننا ضللنا الطريق، قالت شيرلي وهي تقترب منه: أشعر بتعب.

- قال تريفور:

- تقوى، الطريق طويل أمامنا. وتبعته بني لتحthem:

- يجب أن تتحرك وإلا لن نصل لودان قبل حلول الظلام.

من أصعب المجازفات أن يفقد الإنسان وجهته في وسط دغل غدار كهذا، ولم تعد بني تستهش أن تأتي مع نورا للتنقيب هنا.

قال غراهام:

- هذا هو الطريق، هذا أكيد.

ورغم تأكيده في صوته نبرة شك، وتملكها الخوف لأنهم كانوا يتخبطون بين أعشاب وعلیقات تحيط بهم من كل جانب.

قالت شيرلي مرعوبة:

- قد يكون جحيمنا إذا انفجرت الأرض وفجرتانا معها.

- سوف لا تنجررين، ستدفين فقط،

قال غراهام ساخراً:

- تدفين تحت الأوحال والصخور الغالية.

اعترف تريفور:

- فإذا اعتبرنا الحياة على هذه الجزر، نراها مزعزعة... قد تثور هذه البراكين في آية لحظة ودون سابق إنذار...

- البراكين لا تثور في معظم الأحيان.

كانت بني مفتونة بالمشهد أمامها وتتوق لتأتي مع نورا لتقوما بأعمال التنقيب هنا.

لاحظ غراهام أن شيرلي كانت شاحبة اللون فاندفع نحوها عفوياً وأمسك بيدها:

- لا تخافي يا شيرلي.

والتفت إلى بني متسللة:

- هل نبدأ بالعودة الآن؟

- حسناً، لنعد.

بدأوا يتضايقون في تنفسهم بسبب بخار ورائحة الكبريت الذي كان يتحول إلى لون المعدن الرمادي في الهواء.

- نحن نسير في الاتجاه الصحيح. هذا كل ما أستطيع قوله.

قال غراهام ذلك وهو ينظر إلى جهة الغرب حيث بدأت الشمس تغيب.

- بني؟ أنا تعبة.

قالت شيرلى:

- هل نستريح قليلاً؟

- أعطيني يدك.

قال غراهام.

- لا يجب أن نتوقف قبل أن نجد طريقنا، وإلا فنحن في وضع حرج.

- أخشى أننا لن تكون في لودان قبل الليل.

قالت شيرلى وهي تبكي:

- ليتني لم آت.

رفعت بني حاجبيها استهجاناً لأن شيرلى لم تكن صادقة في أمنيتها بالبقاء في البيت.

قالت تريفور متشائماً:

- لن نجد طريقنا حتى قبل حلول الظلام. أقول هذا مرغماً يا غراهام، وأشك كثيراً في الوصول إلى لودان هذه الليلة.

قالت بني:

- يجب أن تكون هناك بأى ثمن.

كانت كلمات ماكس ترن في أذنها على أنه لن يرسل نجدة للبحث عنهم بعد أن حذرها من القيام بالرحلة دون دليل، لأنه يعرف احتمالات الأخطار. وغضط شفتها ندماً وحسنة لتحديها ماكس بقولها إنهم لن يحتاجوا إلى دليل. هل تكون لها الجرأة على مواجهة ماكس إذا صع ما كان يؤكدده؟ وكررت بني حثها:

- يجب أن نصل لودان قبل حلول الظلام يا غراهام، وإلا فلن ن GAMMA

قالت شيرلى معايرة:

- سوف يغضب ماكس عندما يعرف أنك رضيت بمجيئي معكم، وسيثور غضباً إذا ضعننا كما قلت يا بني.

قالت بني:

- حاولت جاهدة أن أثبتك عن المجرء ولكنك كنت مصممة.

قال تريفور:

- هذا صحيح، كنت عنيدة. لا يجب أن تلومي بني مهما حدث.  
- مهما حدث.

قالت بني.

- هل يعني ذلك أننا لن نصل لودان؟

- لا أدعى بأنني أعرف هذه المنطقة، أو بأنني غراهام لا يعرفها أيضاً. ما أعنيه فقط هو أننا ضعننا وأننا لن نصل قبل الليل حتى إذا

وجدنا طريقنا.

- سنمضي الليل في لودان.

قال غراهام ذلك ليخفى ارتباكه بعد أن كان يؤكد لبني بأنه يعرف الطريق، وأحسست بالشفقة عليه. أردف غراهام يقول:

- لا أقول إننا سنجنح في ذلك قبل الليل، ولكن فقط إذا عثينا على الطريق الصحيح.

كانت تلك المسافات الشاسعة مغطاة بالأعشاب اليابسة وأشجار الكثيفة، وأقرت بنى بحكمة ماكس في إصراره على استخدام الدليل. فأداء المنطقة يعرفون كل شبر من الأرض، ولهم غريزة غريبة في افتقاء الآثار وسط الأدغال والمستنقعات.

لحسن حظهم كانوا قد أتوا بالوفير من الطعام، وبالمشروبات الباردة والساخنة. وعندما اعترف غراهام بفشله جلسوا وتناولوا شيئاً من الطعام. كانت بنى كل ذلك الوقت صامتة أما الثلاثة الآخرون فحاولوا تلطيف الجو بقليل من المرح والثرثرة. ولم تمض برهة حتى خيم السكوت فوق رؤوسهم.

## ٦ - بدون عاطفة

بالرغم من أن ماكس أكد لبني أنه لن يبعث بتجدة الإنقاذهم، كان رجاله يشقون طريقهم باستعمال الفؤوس والبلطات في تقطيع الأغصان المتشابكة، في تلك المناطق الساخنة من الدغل حيث يغلي الكبريت.

كانت بنى والباقيون جالسون كومة واحدة. وعندما بان القمر أصرت بنى على أن يجريوا حظهم في السير من جديد. إلا أنهم كانوا يدورون في نفس المكان دون أن يدرروا عندما سمعوا صوتاً يناديهم عن بعد. فارتسمت شيرلى على الأرض مفعمي عليها.

يا للسماء... بدأت فرائص بنى ترتعد لدى سماعها الصوت واحتمال ظهور ماكس أمامها خارجاً من الظلام. ما عساه يقول إذا رأى شيرلى على هذا الحال؟ فصرخت بغراهام وتريفور أن يعتنيا بشيرلى هوراً، ولكن شيرلى كانت هي إغماء وكل ما عمله هو أنهما حملاماً بين أيديهم عندما وصل أول أفراد النجدة.

- جان، كيف وصلتم بهذه السرعة؟

- عاد السيد رديرين بعد الظهر وفي أول الليل طلب إلى أن أجمع

انحنى ماكس ليتبين موقع المها.  
 - إنه... إنه ظهرى.  
 - لم يحدث لظهرك أى شيء..  
 قال تريفور بدهشة.  
 نظر غراهام فى وجه بنى وصرخ موجهاً كلامه إلى شيرلى:  
 - كيف ألمك ظهرك، ولماذا لم تقولي شيئاً فى حينه؟ لم تتكلمى عنه إلا الآن.  
 - لا يهم ذلك كيف ومتى تآذت. أعطياها إلى جان وموزر.  
 تكلم ماكس بجفاء، ولكن بصوت خافت لا يكاد يخفى غيظه. تناولها جان وموزر واختفيما معها فى الظلام.  
 وسألهما ماكس:  
 - هل جميعكم بخير؟  
 أجاب غراهام وتريفور بأنهما على أحسن حال، أما بنى فظلت صامتة. رفع ماكس المشعل أمام وجهها ومن ثم سلط ضوءه على جسمها من رأسها حتى قدميها وقال:  
 - سألت إذا كنتم بخير.  
 دلّ صوته على ثورة الفضب المتمكنة منه وأرادت بنى أن تدعى بأنها تآذت هي الأخرى، إلا أنها أجبت بعد أن ترددت قليلاً:  
 - شكرًا، ليس بي شيء..

الرجال لنخرج ونبحث عنكم. جنّ جنونه لتفبيب الآنسة شيرلى فى الرحلة... وهاج حتى إنه فقد لون وجهه...  
 ورفع جان مشعله ورأى الشابين يحملان شيرلى فخرجت من حنجرته آنة رعب وقال:  
 - الآنسة متآلة؟ السيد رديفرين سيصاب بالجنون الآن... برز ماكس من الظلام حاملاً مشعلاً يتبعه فليكس ومعه زنجيان قويان هما مووز وولسون اللذان اكتسبا شهرة باخلاصهما ومهارتهما كدليلين.  
 - ما هذا؟ ماذا جرى لشيرلى؟  
 وسلط الرجال المشاعل على شيرلى فتحركت عيناهما وفتحتهما وهي تتمتم:  
 - ماكس؟ أنت أتيت لي، أعرف ذلك.  
 جمدت بنى فى مكانها لهذه التمثيلية وشعرت ببرودة تسري فى ظهرها. أضافت شيرلى تقول:  
 - ما كان يجب أن آتى إلا أن بنى رأت أن أستطيع مرافقتهم.  
 ومدت يدها لتلمس يد ماكس. فتاطعتها بنى صارخة:  
 - هراء، لم أقل شيئاً كهذا، كيف تجسرين يا شيرلى على قول ذلك؟  
 - جان، مووز، خذا شيرلى... احترسا.  
 - ربما أستطيع المشى إذا وضعتمونى على الأرض... أوه.  
 - ما بك؟

- إذن، لنتحرك نحو سيارة الجيب الموجودة على الطريق.

- الطريق؟

سأل غراهام باستغراب:

كم يبعد عننا هذا الطريق؟

- أقل من كيلو متر.

وصلوا بيوبتهم عند الفجر، وحمل ماكس شيرلى من سيارة الجيب وأدخلها البيت وظهرت تريزا والخوف يملأ عينيها الواسعتين.

- يا إلهي! هل حدث لها حادث؟

- ستكون بخير. ناوليهما شيئاً منعشًا وامسحى وجهها بماء ساخن.

وضع ماكس شيرلى على فراشها وفتحت عينيها وكافأته بابتسامة جميلة:

- أنت طيب معن يا ماكس... أنا الآن أحسن حالاً.

- كلا، لست أحسن.

- لا تغضب مني والا سأبكي. تملكتا الرعب والبرد. ضللتنا اتجاهنا ساعات وساعات وظننت أننا سنموت هناك ولن يجدنا أحد!

قالت بني:

- ما كان مات إنسان. كل ما هنالك هو أننا كنا أمضينا ليالينا هناك ووجدنا طريقنا في ضوء النهار.

خرجت تريزا لتتأسى بما طلبه ماكس بينما كان يجس نبض شيرلى. وفكرت بني أن تخرج على الفور فتتمام ليلة تستريح فيها من عناء

الرحلة وتستعد في يومها التالي لمواجهة غضب ماكس.

- طابت ليلتكم. أرجو أن يتحسن ظهرك.

تلاقت عينا بني بعينى شيرلى وأغمضتهما هذه الأخيرة فتأكدت بني من التمثيلية التي لعبتها شيرلى لتثير مشكلة بينها وبين ماكس.

انتصب ماكس وسلط على بني نظرة باردة كالجليد، وسألها أن تبقى حيث هي لأن لديه ما يقوله لها.

- ربما نستطيع تأجيل ذلك إلى الغد...

- أفضل قوله الآن. أرجوك أن تبقى حتى أنهى من شيرلى.

- إنى منهوبة القوى.

- لن يطول ما أقوله أكثر من دقيقة.

- أعرف ما ستنقوله وأعترف أنه كان من الحكمة أن تستأجر دليلاً. إلا أن هذا لا يمنع من أن أكون سيدة نفسي وأن أتصرف بأموري حسب أهواني. فإذا كان ما ستوجهه إلى من هذا القبيل، فوفر على نفسك هذا العناء.

كان واقفاً في مواجهتها وعيناه تقدحان غضباً وغطرسة. ولكن بني ترى نفسها فريسة قامته الشامخة وقوته الجذابة التي تجعلها أضعف من أن تطرده من ذهنها.

- ما أنتي قوله يتصل بأمر أهم بكثير من مجرد التقاض.

كان صوته خشناً وقاسياً:

- ولكن عنادك في مقاومة رغباتي يدفعني إلى اتخاذ منحي

جديد. متى تنتهي مدة خدمتك هنا؟

- مدة..؟

اختفى الدم من وجهها كلياً، ورأت الشفافة التي واتته ولكنها لم تجبه إجابة مباشرة. قالت:

- لا أفهم ما تحاول قوله.

نظر إليها باستهزاء ولو شفتيه احتقاراً، وقرأت أفكاره قبل أن يبدأ بالكلام.

- عباراتك تكشف أنك تفهمين ما أعني تماماً. بما أنك تصررين على تحدي نصحي، وبالتالي تورطين نفسك وغيرك أيضاً في مخاطر، أرفض أن تبقى تحت سقفى. متى سينتهى العمل الذى بين يديك الآن؟

- تريد أن تفهمنى أنى لا أستطيع البقاء فى هذا البيت؟

أحسست ببرطوبة الليل تتسلل إلى جسمها والبرد يخترق عظامها:

- قالت والدتك إننا سنكث هنا مدة سنة.

- إن والدى مخطئة لن أتحمل هذا الاستهتار المقصود لرغباتى. مرازاً وتكراراً قدمت النصح فى مصلحتك وسلامتك، ولكنك متعنتة فى اعتقادك أنك تفهمين أكثر منى. وتناسيت أنك ضيفة على وأن عليك تقديم شيء من الاعتبار لي. وعليه، وبما أنك أهللت هذه الناحية، وبما أنى لم تعد لي أية رغبة فى مواجهة متابع آخر، أكون ممتاً إذا أنت وجدت مكاناً آخر تعيشين فيه.

عقد لسان بنى ولم يدر فى خلدها أبداً أن ماكس سيصل به الأمر

إلى حد اتخاذ مثل هذا الإجراء. وكانت صادقة مع نفسها إذ إنها أقرت ضمناً أن رد فعله معقول وحكمه عليها فى محله. ولكنها لا توافقه على أنها تتحداه متعمدة، ولو أنها تسبيب له فى بعض المتابع. مثلاً، عندما اعتبرها ماكس مسؤولة عن ضياعها مع أمها ذات مرة. ولو لا شرود ذهن نورا ونسيانها بأنى كانت قد حذرتها، لما حاسبها ماكس على ذلك. وبينى لا تلومه على شيء. وله كل الحق فى تذكيرها بأنها ضيفته ومن واجبها أن تاحترمه. أما من وجدها نظرها فالأشياء تحدث بعض ما تتوقع لسوء حظها. فهو توقع مثلاً أن تلقى فيه أخيه، وأخيراً توقع أن تدوم الهدنة بينهما.

رفعت نظرها إليه ومرارة الندم والأسى تأكل قلبها، لأنها تسرعت فى الإجابة بدل أن تتقبل انصباب جام غضبه عليها وبدل أن ترى نفسها فى هذا المأزق الحرج:

- ستتجدد نورا... والدتك، صعوبات فى تسيير العمل إذا أنا تركتها.

رفع حاجبيه وقال بهدوء تام:

- هل كنت فى إنجلترا تعيشين فى بيت واحد مع والدى؟

- كلا. كنت مع والدى.

- وهكذا كنت تذهبين إلى عملك كل يوم. أليس هذا طبيعياً؟  
كان صوته بارداً، وكان تلون نفماته وهو يتكلم أحد من السكين فى قلبها. ورأت نفسها مرغمة على أن تجيب على سؤاله فقط بابياءة من رأسها.

- فى هذه الحال لا أرى فرقاً بين هنا وإنجلترا. قد تجدين مأوى

رأى بنى شرائينه تترافق تحت جلد وجهه، وكان يجهد نفسه لثلا  
ينفجر من الغضب. وأرادت أن تتخلص منه قبل أن تنهاه كلياً، إذ إنها  
كانت متعبة وبائسة تشعر بضعف شديد.

- ربما كانت شيرلى ستوضّح لك كل شيء في الصباح.

- لا أريد أى إيضاح من شيرلى. أريد إيضاحاً منك. أنت شجعتها  
لتخدانى. هل كان ذلك أخذنا بالثار مما تعتقدين أنه تدخل مني فى شؤونك؟  
- تدخل؟

- أى إصرارى على استخدام دليل. قد تعتبرين هذا تدخلاً فى  
أزانتك، إلا إذا كت مخطتنا.

كان انطباعها أنه يحاول كبح جماحه. حاولت أن تمشي ولكنها لم تستطع دون أن تتكئ على الكرسي.

- آسفة لأننا لم نمتّل لنصيحتك في استخدام دليل.

وحاولت المشي مرة ثانية ولكن قدميها ظلتا مستمرتين في مكаниهما. لم تكن تنظر في وجه ماكسن خشية أن يرى الدموع في عينيها. وأضافت تقول:

- أما قولك أني دفعت شيرلى لتنحدراك، فلم يكن الأمر كما تظن،  
الآن، أعرف أنك لن تصدقني.

توقف فحافة عن الكلام اذ ترين ما بها من سوء:

- ها، أنت مد بحنة؟

في فندق أو في بيت في روزو أو قريباً منها.

شعرت بالبرد في كل أنحاء جسمها، تنهدت وقالت :

- أَبِي، هَلْ سَمِقْتُ أَبِي هَنَاءً؟

وأدانت أن تقول أياً «مع ابن ذؤبته» ولكنها عدل.

- با سيفضا ، والذك المقاء معك في ، الفندقة

أذاحت سرها خصلة من شعرها حانثاً بعد كفة بطيئة جداً. ما بها؟

أخذ كل جسمها ينتقض وهي تقول:

- إذا كان هذا كل ما أردت أن تقوله لي فأننا ذاهبة إلى الفراش.

نهضت ولكنها عبسَت بشدة، شعرت بأن ساقيها لا تُحملانها  
وامسكت بالكرسي كيلا تسقط:

- آسفة لكل ما حصل. ستكون شيرلي بخير... بعد أن تستريح.

لیس بشیرلو آی شیء۔

قالت راقية:

- ولكنها لو تأذت حقاً لألقت كل الملامة عليك.

لَوْتٌ شَفَتُهَا الْحَمِيلَتَنْ وَقَالَتْ:

- كنت أعلم أنك ستفعل هذا.

- أنت أكبر منها وكان عليك أن تتبعلى ولا تسمحى لها بالمجيء  
معكم فى مخاطرة جنونية كهذه. ما الذى جعلك تأخذينها مع العلم  
بأنى كنت أمانع؟

الأمر. هذه خصلته، تتأكد بني من رسوخها فيه يوماً بعد يوم، غير أنها لم تشعر بنفور من النصيحة التي أسدتها الآن.

- سأكون في أحسن حال بعد نوم هادئ. لا تنس أن لدى عملاً أقوم به وسيكون تقيبي مضايقاً لوالدتك إذا أنا مريض.

- نامي الآن. وإياك أن تتهضم بدون إذن مني! أغلق خشب النافذة الخارجى فأظللت الغرفة وخرج وأغلق الباب وراءه. عندما فتحت عينيها في ساعة متأخرة من النهار أحست بألم شديد فاغمضتهما وبصعوبة كبيرة مدت يدها وأشعلت النور وضفت على زر الجرس. دخلت عليها تريزا فوراً.

- سيدقى ليست على ما يرام.

وقالت بعد إلقاء نظرة عابرة: السيد رديفرين قال إنك ستكونين مريضة بضعة أيام. وطلب أن أعلمه أنك قرعت الجرس.

- كيف الآنسة شيرلى؟

سألتها بنس بقلق.

ابتسمت تريزا عن أسنانها البيضاء الناصعة:

- ظلت في فراشك كل الصباح وهي الآن في الحديقة.

- إذن، هي في صحة جيدة؟

- نعم... صحيحة، ولكن السيد رديفرين غضب منها وهي تتوجول

- أنا، أنا...

التفت إليه وأصابها دوار. ارتحت يداها وكانت على وشك أن تسقط لو لا أن ماكس أسرع فامسك بها وساعدها في الوصول إلى غرفتها. تمددت على سريرها.

- ستجدين لنفسك زوجاً يوماً ما، وأول شئ يفعله هو أن يدخل في عقلك ذرة من التعقل إذا اكتشف ما أنت عليه من طباع! كان وجهه يشبه الغيم المرعدة وشفاته ترتعشان.

- لا أفهم مسلكك. إنك تدهشيني بمنطقك ورزانة تفكيرك، كما تذهليني بأعمال رعناء منهورة وصديفك ليس أفضل حالاً منك. ألم تقولي إنه يعرف الطريق؟ لو أنكم اتبعتم إرشادي لما وقتم في هذه الورطة.

- ماكس... أرجوك، كفى!

قالت متولسة وهي تحاول أن تضبط أعصابها كيلا تتفجر بالبكاء.

وأضافت بصوت خافت:

- فقط... فقط لو أنك عاملتني كأخ لأخذت بنصحك.

ولكن ما بها؟ لماذا تذكره بأشياء تضعه في موضع أخ؟ أما زال غاضباً؟

- يجب أن تقرى بأنى لست أخاك، وإنما تسببت لك في إزعاج سيلاحك مدى حياتك.

-أشكرك على كل ما تحملته من أجلى.

لم يجب على هذا، وطلب منها أن تلازم الفراش اليوم كله، واليوم الثاني إذا ارتأى أن ذلك ضروري. حتى ألطف نصائحه يلقبها بلهجة

في الحديقة. سأخبره أنك ناديتني.  
قالت ذلك وخرجت.

أتى ماكس وفتح النافذة فغمز النور الغرفة. وقف بجانب السرير  
وأخذ يتفحصها. قالت له:

- تريزا أخبرتني أنك قلت بأنني لن أصح قبل بضعة أيام.

- عدت من عمل قبل الغداء. تفسك يدل على أنك مصابة ببرد شديد.

ثم وضع يده على جينها وقال:

- ستلazمين الفراش حوالي الأسبوع.

- سأ يأتي والدى بعد أسبوع من الآن.

وقالت متحسراً:

يجب أن أنهض قبل أن يأتي.

- ستفعلين ما أقول وأنت تحت سقفي. لكن لا ضرورة لطبيب. كل  
ما يلزمك البقاء في درجة حرارة غير متقلبة.

لم تستطع استقراء أفكاره من وجهه الذي لم يدل على أي انفعال.  
وتساءلت إذا كان مازال غاضباً. وقالت باستعلاء متفاضة عن شعورها:

- أستطيع الانتقال إلى الفندق...

- لا تكوني غبية مجنونة!

أدهشتها عبارته ولكنها أرغمت نفسها على القول:

- يسبب وجودي هنا ازعاجاً لك وقلت إن على أن أرحل.

ترى ث قبل أن يعلق على كلامها، وكان ينظر في وجهها وفي عينيه  
تأنيب وعتاب:

- أعتقد أنه يمكن التناقض عن نزواتك في الأشواق على نفسك.

أجابته بحدة:

- لست في نزوة ولا أطلب الأشواق لنفسي!

- أنا مخطئ، إنك تظاهرين مزاجاً عصبياً.

قال ذلك باستهزاء وهذا أغضبها. وسألها فجأة:

- ما هي درجة أمك؟

- أتألم في كل جسمي.

وفكرت أنه يشمث بها.

- هل تشعرين بقابلية للأكل؟

- يمكنني أن أتناول شراباً، بكمية كبيرة.

قالت ذلك وهي تتوقع أن يرفض طلبها ولكنها فوجئت عندما قال:

- أية كمية تريدين. شراب البرتقال أم الليمون؟

- الليمون من فضلك.

أتي هو نفسه بالشراب على صينية من فضة ومعه كأس من الماء.

- ستتناولين الحبوب أولاً.

ساعدها على الجلوس ورتب الوسائل وراء ظهرها. كان لطيفاً  
ودقيقاً كالطفل ممرضة، وتساءلت بني إذا قدم الخدمة ذاتها لشيرلي.

- تناوليها مع الماء.

- متى يبدأ مفعول الحبة إن رأس يطرق طرقاً.

- ستحسنين في بضع دقائق.

كان يراقبها وهي تتناول شراب الليمون، ثم أكد عليها أن تبقى ممتندة.

- هل أستطيع القراءة؟

سألته بعفوية.

أكره البقاء في الفراش.

- كلنا نكره ذلك. يجب أن تبقى هكذا مدة يومين على أقل تقدير، وقد أسمح لك بالجلوس بعد ذلك، ومن ثم سنرى.

- وعمل؟

- أمري تتدبر أمرها بمهارة، وستأتى الآن لترافقك بعد أن تكون قد استرحت قليلاً بعد تناول الشاي.

- وشيرلي أيضاً؟ إذا رغبت هي في ذلك.

- كلا. الزيارة اليوم محصورة في والدتي فقط. بعد زيارة والدتك استرخى حتى وقت الغذاء، وأأمل أن تتمكنى من تناول شيء من الطعام. قال ذلك وأغلق الجزء الخشبي من النافذة.

- أرجوك، اترك النافذة مفتوحة، لن يتاخر الظلام في كل الأحوال. تردد ولكنه أذعن:

- حسناً، ولكن لا يجب أن تقرأي، هل فهمت؟

شعرت بتحسن في رأسها. ولكنها كانت واهنة القوى تشعر بألم في عدة أنحاء من جسمها.

- لا أعتقد أن في إمكانى أن أقرأ، وسأحاول أن أنام بعد زيارة والدتك.

- ما أطيبك الآن! هل تريدين أن أرفع الوسائد؟

حملقت فيه غير مصدقة هذا التحول الذى طرأ عليه فى فترة ساعات، وحاولت أن تتبعين أفكاره. لا تصدق أنه منذ بضعة ساعات اندرها بالرحيل من منزله... والآن يعتنى بها شخصياً بالرغم من وجود من يستطيع القيام بهذا العمل. أن يقوم على خدمتها هو نفسه، وأن يقدم لها الشراب ويرتب الفراش، وأن يفتح أو يغلق النافذة، شيء لا يستوعبه العقل وليس من عندياته. الخدم فى بيته ومزارعه كثيرون، يتراکضون لتلبية رغباته وطلباته... وهو يقوم شخصياً على خدمة فتاة لم يحبها منذ اللحظة الأولى من لقائهما.

شعرت أنها تحسده على ثقته فى نفسه واستعلانه على الغير وتحسده حتى على عجرفته، وترى فى كل ذلك نباهة وذكاء وتربيبة رفيعة... يضاف إلى كل ذلك شموخ قامته وجمالها، وتناسق جسمه وتقاطيع وجهه الصارم. له قوة قراءة أفكار الغير مهما حاولوا اخفاء مكنوناتها، وذلك من خلال نظراتهم. وهذا ما يجعل الدم يندفع إلى وجهها فيتورد، أو يختفي منه فيشجب. ورأى الآن أن وجهها محمر، فسألها فيما تفكرا قالت:

- ليس في أي شيء ذى بال.

- لا بل إنه ذو بال، لأنه جعلك تحررين.

٧ - العازب الأبدى

كانت يبني مريضة حقاً طيلة الأيام الأربع التالية. لم تكن لها رغبة حتى في الحركة، ولا في الجلوس مستندة إلى الوسائد. وكان ماكس مطمئناً على حالها، ولم ير حاجة لاستدعاء طبيب. كان هو نفسه يحدد جرعات الدواء حتى إذا ما أطل اليوم الخامس كانت النتائج مذهلة حقاً.

- هل أستطيع أن أنهض قليلاً؟

وسأله بعد أن تناولت وجبة طعام:

- أشعر بأنى على ما يرام.

- مستشارين بوهن كبير إذا ما نهضت الآن. أرى أن تتنظرى حتى يوم غد.

- هل تسمح لي بالقراءة إذن؟

ابتسمت له ولم يرد لها ابتسامتها، لكن عينيه كانتا حنونتين  
وشفتيه مرتاحتين.

- يكل تأكيد، لكن توقيفي حالما تشعرین بأقل إعیاء. صحّتك في

- هل احمر وجهي؟

- لا تكوني وحلاة. تعرفن ذلك تماماً.

برقت عيناً بنيٍّ بحدهٍ لكنها عافت الإجابة بسبب تعبها، فسكتت  
على أمل أن يتركها. وبحركة لم تتوقعها منه انحنى وأمسك بيدها.  
وضعها في يده ورثت عليها ثم شدّها قائلاً:

- أنت متعية.

و سحب الوسائل من وراء ظهرها.

- وسأخبر أمي أن تأتى لتعودك بعد الفداء. تمددى الأنى واستريحى.

تکلم بلطف جم شم اردف:

- أرى عندك استعداداً للنوم.

ويكل دعاية رتب غطاء السرير وقال:

- استريح، حيدراً يا نفسي، وسأعود إليك بعد حوالى الساعه.

تبعته بنظرها وهو يخرج. له قامة رشيقـة. ولكن ما حيرـها فيه هو عدم الارتباط العاطـفى بشـئ. ولكن ماكس الجديد... قذـف بها إلى عالم كله بـللة وارتياـك.

تحسين مستمر ولا تزيد انكاسات.

تفسّر فيها وهي نظرته شيء من السخرية.

- كنت نموذجاً مثالياً للمريض، ولم تتسببي في أي جدل طيلة أيام كاملة.

لم تقل بني أي شيء بخصوص هذا التحول، ولكنها قالت إنها قلبت صفحة جديدة.

حاولت أن تظهر هادئة وطبيعية، ثم أضافت:

- أنت تفهم قصدي. أنا... أنا أرغب في أن تكون مثل...

- مثل الأخ والأخت؟

كانت الهراء باديأ على سجنته. اضطربت بني وتساءلت عما إذا كان قرأ أفكارها. لا يجب أن يحزن ما في فكرها، فتحولت الحديث إلى مجرى آخر.

- هل سيسكن والدى... الفندق؟

خرجت الكلمات من فمها تباعاً، وتتسارعت معها نبضات قلبها. حبس أنفاسها وهي تنتظر.

- أعتقد أنه يوجد مكان كاف ليتنفس له هنا.

أثر هذا الجواب الهادئ فيها، لم تدر معه ما لم تفعل غير الشد بيدها على يده.

-أشكرك يا ماكس.

تكلمت عيناهما عن عرفانها للجميل أكثر من أي تعبير كلامي، وأضافت فقط:

- أزاحت عيناً عن كاهلي.

- تستطعين البقاء هنا يا بني، ولكن أريد وعداً منك بأن ستتبعين نصائحى... دائمًا، مهما كانت الظروف. هل مستعدة أنت لإعطائى هذا التعهد؟

تنفست الصعداء وأومأت بالإيجاب.

إلى أعدك يا ماكس. وأعترف أن عدم استخدام دليل كان خطأ.

اقتع بيهذا وظلا صامتين برهة من الزمن بدا خلالها أن ماكس يتتردد في الخروج، حيث مضى عليه أكثر مما ينبغي. هل يتمتع برفقتها؟ وشء آخر، لماذا لا يسمح لأحد غيره بتقديم الدواء لها؟ وعندما عزم على تركها دخلت والدته عليهما بينما كان يسحب يده من يدها. ابتسمت شفتاها الشاحبتان ابتسامة خفية، ولم تفه بأية ملاحظة كيلا تربكهما.

- كيف المريضة اليوم؟

أسرع ماكس وقدم لها كرسيًا وقربه من السرير، وبقي هو واقفا دلالة على أنه ذاهم.

- أنا أحسن بكثير.. شكرًا.

ونظرت إلى ماكس مبتسمة:

- بفضل طببي المتاز.

- ماكس ماهر جداً في الطوارئ.

قالت نورا بفخر:

- أفضل أن أكون بين يديه على أن أكون بين يدي أى طبيب آخر،  
إلا في عملية جراحية.

ولما هم بالخروج طلبت منه والدته أن يبقى قائلة:

- هناك شيء أريد أن أكلمه به.

انتفتضت بني عندما رأت وجه ماكس ينقضن. فقد خمن مثل بني  
أن والدته ستفاتحه بقضية الزواج ولكن موضوعها فاجأ كليهما:

- هل حقاً يا ماكس أن على بني أن ترحل من هنا، أم أنك عدت  
عن قرارك؟

قال وقد استعاد هدوءه بعد مفاجأة والدته:

- كيف عرفت أني طلبت إليها أن ترحل؟

- وهل سويتما خلافاتكم؟ أظن أنكم توصلتما إلى ذلك.

تفوهت بعباراتها الأخيرة باطمئنان ظاهر. وتابعت كلامها:

- في هذه الحال ما سأقوله أهم من ذلك. كنت تهذين يا عزيزتي  
عندما دخلت مساء أمس ...

- كنت أهذى؟

هزت بني رأسها.

- ربما تكلمت في منامي!

- سمع ذلك كييفما تريدين، ولكنك كنت قلقة جداً.  
ونظرت إلى ابنها نظرة عتاب.

- الظاهر أنك اعتبرت بني المسؤولة عن ضياعنا أنا وإياها. كلا يا  
ماكس، أنا الملومة. نبهتني مررتين إلى الساعة ولكن كنت مأخوذة بعملي  
ولم أقطع شخصياً أننا قد نضيع حتى في الظلام. ولكننا ضيعنا  
وتحملت بني المسكنة كل الملامة. إنك أساءت معاملتها يا ماكس ...  
لم يسمِّ ماكس معاملتي البتة.

تدخلت بني وهي تنظر خفية إلى وجه ماكس أما ماكس فلم يبد  
عليه أي تأثر. وتابعت حديثها مكتبة:

- أرجو ألا تكون قد أعطيت انطباعاً مغلوطاً. وإذا كنت ذكرت أى  
شيء عن ماكس فقد كان غير مقصود.  
- لا بد أن يكون له أساس.

- لماذا لم تقولي في حينه أن بني ذكرتك بالوقت؟  
كان صوت ماكس ناعماً أدخل الرجفة إلى قلبها.

- أنت تعرف نقائصي يا ماكس كما أعرفها أنا، وأحدها شرود  
الذهن. وأتذكر الآن أنى وبخت بني على تقصيرها في إعلامي عن  
الوقت وتذكرت كل شيء عند سماعي هذينها ليلة البارحة. كانت قد  
ذكرتني بالوقت مررتين بالفعل.

خيَم على ثلاثةِ سكوت مزعج قبل أن يتوجه ماكس إلى بني  
ويسألها بغلظة:

- لماذا لم تتبهني إلى غلطتي؟

يبدو أن نورا قرأت أفكار بنى لأنها عندما تكلمت أفصحت عن نفس الشيء الذي كانت تريد قوله:

- بالطبع لم تتبهك بنى إلى خطأك فقد تشک في أنها تريد أن تبرئ ساحتها وتضع كل اللوم على أنا، وإذا ذاك لتصدقها، وأنت تعرف أنك لن تصدقها.

تغيرت ملامح سحنته قليلاً، وإذا أقر بخطأه باطنًا فإنه لم يفعل ذلك ظاهراً. أما نورا فقد تابعت محاضرتها:

- وفهمت من هذيان بنى الليلة الماضية أنك أفهمتها بأنك لم تعد تطبق تحديها لنصائحك، ولذا أعلمتها بأنها لن تستطيع البقاء هنا ضيفة عليك. أزعجني هذا الأمر جداً. وإذا ارتأيت أنت أن قرارك كان حكيمًا، ارتأيت أنا من جانبي أن استغل أول فرصة لأؤكد لك أن بنى لم تكن السبب في خلق المشاكل لك وإجبارك على إرسال النجدة.

- فهمت.

كلمة واحدة تفوه بها بعد تردد طويلاً، وكانت عيناه تبعثان عن شيء ولكنها استقرتا في النهاية على بنى، وقد تعنى هذه النظرة أن أمامهما مجالاً لاستئناف هذا الموضوع في فرصة أخرى، ولكنها أكدت لها أيضاً أن علاقتهما الحسنة لم تشبهها أية شائبة. وهي دفاع آخر عن نفسه قال:

- كان يجب أن تطعني على هذا.

وكان هذا خاتم الحديث وخرج ماكس وتركهما.

التقت نورا إلى بنى وقالت:

- من سوء حظك أنك مريض ولكن يبدو أن مرضك قرب بينكم، في عصر ذلك اليوم أنت شيرلى لتراما وفي نفسها شعور بالذنب وبالعداء معًا. دخلت وجلست على كرسى بجانب السرير. لماذا هذا التباعد؟

- هل تشعررين بتحسن؟

كان سؤالها خالياً من كل عاطفة. كان سطحياً.

- أحسن بكثير، شكرًا.

وكان بينهما صمت مريح.

- كان ظهرى يؤلمى ولكن ماكس لم يصدقنى.

أخذ وجهها شكل وجه طفلة بريئة وكادت تبكي.

- غضب منى كثيراً لأنى ذهبت معكم.

- كنت أعرف أنه سيغضب يا شيرلى.

- ظننت أنه سيحقد عليك أنت لأنك سمحت لي بمرافقتكم.

تعجبت بنى من هذه الصراحة الواقحة فقالت:

- أنت عملت كل شيء يا شيرلى حتى يغضب منى، أليس كذلك؟

- عملت ذلك كى يبعد عنك.

قالت شيرلى ذلك بسذاجة الطفل حتى إن بنى لم تنقض أو تحقد.

ولم تنس بنى أن هذه الفتاة وحيدة وتألقة. هل أدرك ماكس ذلك؟ ربما، إذ تذكرت بنى عطفه الذى أبداه نحوها عندما عاد معها من

- هل سألك عن دوافعها؟  
 - أعتقد أنني قمت بها كي أجعله يحبني.  
 - وهل يعرف أنك تحاولين اجتذابه ليقع في حبك؟  
 - الرجال يعرفون ذلك، امخطئ أنا؟  
 - قد يعرف ماكس ذلك هو أيضاً..  
 وتدبرت بني ذاك المساء عندما أمسكتها وعاملها بشيء من العنف، ورنت  
 في ذتها ضحكته الساخرة من احتجاجها، فائلاً إنها كانت تمهد لذلك.  
 - هل تكرهيني يا بني لأنني أحاول أن أجعل ماكس يكرهك؟  
 - كلا يا شيرلي، لا أكرهك...  
 - بلى... تكرهيني!  
 - إنني أعرف شعورك، واندفعك الجارف نحو ماكس.  
 توقفت بني عندما رمتها شيرلي بنظرة سخط:  
 - ليس اندفعاً البتة.  
 صرخت وقبضتا يديها تشنجان بحركة عصبية.  
 - أنا أحبه، وسأموت إذا لم يتزوجني!

طفر الدموع من عينيها وكانت بني تراقبها وهي تتذكر كيف أكدت  
 شيرلي لها بكل ثقة أنها وماكس سيتزوجان، واستخلصت من كل ذلك  
 أن شيرلي تحاول أن تقنع نفسها وليس أحداً آخر.  
 - مهما أنكرت فإني مازلت أعتقد أن هذا غرور منك ليس إلا. أنت

الخليج المرجاني وعلم أنها أمضت طيلة بعد الظهر وحدها.  
 - قلت لك يا شيرلي أنه لا يوجد أي احتمال في أن يحبني ماكس  
 حسبيما تفكرين.  
 - أعتقد أنك تكرهيني الآن.  
 وأبدتأساهما بحركة التواء من رأسها.  
 - أعلم أنه يجب أن أخجل من نفسي، ومع ذلك أرغب في أن  
 يكرهك.  
 أحسست بني بالشفقة على هذه الفتاة المسكونة رغم صراحتها.  
 سألتها بلطف:  
 - ماذا تجدين في كراهية ماكس لي؟  
 التفت شيرلي إليها بحركة عصبية وقالت:  
 - بدأ ماكس يهتم بك واعتقدت أنه سيكرهك أكثر من أي وقت  
 مضى بسبب سماحك لي بالذهاب وبسبب الألم في ظهرى...  
 - لم يؤلمك ظهرك ولم يغم عليك، كان ذلك تمثيلية قمت بها  
 لاستدرار عطشه.  
 - هذا صحيح.  
 أجبت بصراحة مذهبة:  
 - لكن التمثيلية لم تتجزء، فقد اكتشفها ماكس ولكنه لم يعرف  
 دوافعها حتى الآن.

تمسكين به لأنك وحيدة. ولكن كما قلت لك، أنا مازلت صديقتك ولن تكوني وحدك طالما أنا هنا.

- أنا لست أهلاً لأن تكوني صديقتي.

صرخت شيرلى بصوت يائس:

- وموقفك تجاهي يجعل مني فتاة رهيبة، إذ أنه ليس في وسعى إلا أن أسعى لبذر الشقاقي بينك وبين ماكس.

- لماذا قلت لماكس إنك خارجة مع صديقة لك... لقد سألنى عنها.

- أوه... لماذا قلت له؟

بدا القلق على وجه شيرلى.

- قلت إن اسمها... ميريل. ماذا أستطيع أن أقول عن فتاة خيالية؟

ضحكـت لهذه المغامرة إلا أن شيرلى توقفت واجفة:

- ولكنـ وضـعتـكـ فـيـ وـضـعـ حـرـجـ.

- ماذا لو أصرـ علىـ روـيـتهاـ؟ لـزـعـ ذـلـكـ كـيـانـكـ، ولـكـ حـاـوـلـتـ أنـ أـفـنـعـهـ بـأـنـ مـيـرـيلـ فـتـاةـ طـيـبـةـ

- خـيرـاـ فعلـتـ يـاـ بـنـىـ.

قالـتـ ذـلـكـ وـخـرـجـتـ.

استندـتـ بـنـىـ إـلـىـ الوـسـادـاتـ خـلـفـ ظـلـهـرـهـاـ وـشـءـ منـ القـلـقـ بـادـ عـلـىـ وـجـهـهاـ. إنـ ماـ تـحـتـاجـهـ شـيرـلـىـ هوـ شـابـ يـكـونـ لـهـ. ماـكـسـ يـحـبـهاـ مـحـبـةـ الأـبـ، رـيـماـ، وـلـكـنـ لـنـ يـكـونـ لـهـ، وـتـشـكـ بـنـىـ كـثـيرـاـ فـيـ أـنـ يـعـلـمـ بـتـعـلـقـهـاـ

بهـ، وـلـكـنـ يـعـرـفـ جـيدـاـ أـنـ عـطـفـهـ عـلـيـهاـ لـاـ يـجـبـ أـنـ يـتـحـولـ إـلـىـ عـاطـفـةـ قدـ تحـطمـ حـيـاتـهاـ. وـتـأـمـلـتـ كـثـيرـاـ فـيـ أـقـوـالـ وـتـاكـيـدـاتـ شـيرـلـىـ بـأـنـهاـ وـمـاـكـسـ سـيـتـزـوـجـانـ، وـحاـوـلـتـ جـاهـدـةـ أـنـ تـجـدـ أـسـاسـاـ يـؤـيدـ أـقـوـالـهاـ، وـلـكـنـهاـ فـشـلـتـ. خـاصـةـ وـأـنـ مـاـكـسـ، كـمـاـ هـوـ مـعـرـوفـ عـنـهـ، عـازـبـ أـبـدـىـ. حـيـاتـهـ عـمـلـهـ. حـيـاتـهـ فـيـ مـزارـعـهـ، فـيـ عـمـالـهـ، فـيـ أـمـلاـكـهـ الشـاسـعـةـ وـفـيـ بـيـتـ المـزـرـعـةـ الجـمـيلـ، لـيـسـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ. وـفـعـلـاـ تـعـقـدـ بـنـىـ أـنـ مـاـكـسـ سـيـعـتـبـرـ الزـوـجـةـ عـبـاـ غـيرـ مـنـتجـ، لـاـ رـاسـمـاـ مـثـمـرـاـ.

أـرـخـتـ العـنـانـ لـخـيـلـتـهاـ فـرـأـتـ مـاـكـسـ يـمـرـ أـمـامـهـاـ فـيـ كـلـ مـوـاقـفـهـ، مـنـذـ الـلحـظـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ لـقـائـهـمـاـ حـتـىـ السـاعـةـ التـىـ هـىـ فـيـهـاـ. وـكـانـ بـيـنـهـمـاـ الـمـدـ وـالـجـزـرـ، التـقـارـبـ وـالتـبـاعـدـ، التـصـالـحـ وـالتـشـاجـرـ، وـالـحـانـطـ القـائمـ بـيـنـهـمـاـ هـوـ زـوـاجـ وـالـدـهـاـ. مـاـكـسـ رـجـلـ صـلـبـ فـوـلـاذـىـ وـلـكـنـ قـلـبـهـ، كـمـاـ تـعـقـدـ، قـدـ يـكـونـ مـنـ حـرـيرـ.

انـقـطـعـ تـصـورـهـاـ عـنـدـمـاـ دـخـلـ مـاـكـسـ مـعـ الـعـلـاجـ وـمـيـزـانـ حـرـارـةـ. وـأـزـعـجـهـاـ مـرـأـيـ الـقـدـحـ فـيـ يـدـهـ لـأـنـهـ دـلـيـلـ عـلـىـ دـوـاتـهـ الـكـرـيـهـ.

- هـذـاـ لـصـالـحـكـ. أـنـتـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ يـرـاـكـ وـالـدـكـ فـيـ السـرـيرـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ دـهـشـتـ لـذـكـرـ وـالـدـهـاـ وـرـفـعـتـ نـظـرـهـاـ إـلـىـ مـاـكـسـ وـقـدـحـ الدـوـاءـ مـرـفـوـعـ إـلـىـ فـمـهـاـ. لـمـ يـفـهـمـ مـعـنـىـ نـظـرـتـهـاـ فـقـالـ يـحـثـهـاـ: - تـنـاوـلـيـهـ حـالـاـ لـتـسـتـرـيـحـ.

سـالـتـهـ بـفـضـولـ وـهـىـ تـقـرـبـ الـقـدـمـ مـنـ فـمـهـاـ:

- هلـ تـنـاوـلـ أـدوـيـةـ أـحـيـاـنـاـ؟

- لـاـ أـتـذـكـرـ أـنـ تـنـاوـلـتـ دـوـاءـ فـيـ حـيـاتـيـ. أـسـرـعـ، لـاـ تـكـونـ جـبـانـةـ.

بسوء الأصول في الآداب يا بني. بغض النظر عن علاقتي بوالدك فإنه سيكون ضيفي ويستحق كل لياقة وحسن مجاملة.

أحسست بقوة تدفعها إلى الضحك، وإذا ضحكت فقد يشاركها ماكس. لكنها فضلت ألا تخاطر فتتذرع جو التقارب بينهما فابتسمت.

- لا أستطيع شكرك، وسيبتهج والدى بهذا الاستقبال.

- هل يعرف باعتراضى على الزواج؟  
- لا يعلم شيئاً، إلا إذا أطلعته والدتك.  
- أملاً في أن غير رأى؟

قال بلهجة لا تخلو من السخرية:

- بما أنه لا يوجد أى احتمال لقبولى بزواجه أفلم يكن من الزنجب  
أن تعلماء؟

- من المؤسف أنك لا توافق يا ماكس، ولكن والدتك ستتمضى قدما  
بترتيب كل شئ لهذا الزواج.

توتر الجو بينهما قليلاً فأضافت قائلة إنه طالما لا يعرف والدها  
 فهو لا يستطيع الحكم عليه.

بدا متضايقاً بعض الشئ، ثم قال:  
- دعينا من ذلك الآن، فقد انتهينا منه.

اقترب من السرير ليأخذ حرارتها، وابتلعت دواعها في جرعة واحدة ونالته القدح.

- إذا لم تذق طعم أى دواء فإنك تجهل ما هو. هل تصنعه أنت بنفسك؟  
- أعشاب. إن درجة الحرارة معتدلة جداً، تستطعين النهوض غداً،  
وإذا اعتدت بنفسك ولم تجهدى جسمك فستكونين سليمة معافاة  
 تماماً في نهاية الأسبوع.

كانت بني تتحفظ وجهه الذي كانت أساريره منبسطة مع ابتسامة  
تحوم حول زوايا شفتيه. وكان مزاجه على درجة من التقارب والتفاهم  
شجعها أن تسأله إذا كان يسمح بأن تذهب ووالدته إلى المطار يوم الأحد.

- أرغب في استقبال والدى شخصياً.  
كانت عيناهما معلقتين ب حاجبة منه وكانت شفتاها ترتعشان ترقباً  
وقلبها ينبض خوفاً قال:

- هذا يعتمد عليك كلياً. أن قمت بما أقوله لك وأن أخذت الأمور  
على طبيعتها لا أرى مانعاً من أن تأتى معنا.  
- معنا ...  
لم تصدق بني ما سمعته أذناها.

- ماكس، ظللت أن نورا ستستأجر سيارة أجرة.  
ما كان عليها أن تتلفظ بكلمة نورا بدلاً من السيدة ردفيern. لا  
تدرى إذا انتبه لها فوتها أم لا. قال:

- أياً كانت النقائص التي قد تعززها إلى، لا تستطعين اتهامي

استرخت بني وأخذت تتأمل الحياة التي تدور حولها وفوق رأسها،  
ثم سمعت بني وقع أقدام. كانت هذه شيرلى، تبدو أصغر وأقرب إلى  
الطفولة في ثوب قطنى أحضر.

- مظهرك بديع.

قالت بني مبتسمة عندما تقدمت شيرلى وجلست بالقرب منها.

- شكرًا يا بني.

كانت شيرلى بسيطرة الملبس والكلام، يبدو عليها نوع من الاستسلام، ولكنها كانت مبتهجة. وثرثرتا معاً مدة طويلة. وانضمت نورا إليهما بعض الوقت ثم عادت إلى عملها:

- لا تستطيع ترك عملها.

قالت شيرلى وهي تنظر إلى جسم نورا النحيف:

- لا أستطيع أن أعمل مثلها مطلقاً.

- بلى، تستطعين بكل سهولة إذا أحببت عملك.

- لا عمل لها إلا فحص الحجارة. وكلما وقع نظرها على حصاة تلقطها حلاً ونکشط عنها الوحل أو غير ذلك. لعمري، ماذا تجد في الحجارة؟

- ستدھشين إذا عرفت.

ضحك بني ولمست أصبح شيرلى وسألتها:

- من أين هذه الماسة التي في أصبعك؟

- اشتراها لي والدى من متجر المجوهرات.

نهضت شيرلى وقالت:

## ٨ - طفح الكيل

بعد وجبة ظهر اليوم التالي قرعت تريزا باب غرفة بني ودخلت وابتسامتها العريضة تملأ وجهها.

- قال السيد رديفرن لأساعدك على النهوض من السرير. أديك ثياب خاصة تلبسينها؟

- خاصة؟

- قال السيد رديفرن يجب أن تكون ثيابك ثقيلة ويجب أن تلبسي معطفاً فوقها. وقال قبل ذهابه إلى مزارع الموز أن أحضر بساطاً خفينا تضعينه على ركبتيك في الحديقة كيلا يصيبك البرد ثانية.

- هراء يا تريزا. أعتقد أنك مخطئة. الطقس حار جداً وأنا أريد أن أحس بالنسيم يداعب جسمى.

- الهواء بارد يا سيدتى.

- النسيم مدهش يا تريزا.

كفى عن القلق بشائنى. أنا مررتاحة جداً.

- كما تشائين يا سيدتى.

وقدم لها علية شوكولاتة، ولكنه ارتاب في أن شيئاً ما ليس على ما يرام.

**قالت:**

- أرجوك يا غراهام، أريد حذائي من الفرقة ومعطفاً، أنا متجمدة من البرد.

لبي، غراهام طلبها بسرعة. وبمساعدة تريزا عادت إلى فراشها.

- ما الذى سيقوله السيد ردهيرن لا أدرى!

رفعت يديها إلى السماء وقلبت عينيها إلى أعلى وأسفل:

- انه قد يأتى في آية لحظة الآن لأن العمال عادوا إلى منازلهم.

- لا لوم عليك يا تريزا.

ته جست خینه من قدوم ماکس، فهذا موعده لتناول الشاي وأضافت:

- لن أدعه يعاقبك. لا تخافي.

- دل سيعايني لأنه يشدد على إطاعة أوامره. أنا خائفة.

لم تحر بني جوابا لأنها كانت ترتعش كلبا ولم تقو حتى على الكلام. أغمضت عينيها واستندت ظهرها على الوسائل خلفها. وسمعت تربذا تقول:

- لِيَتَا لَا نَذْكُرُ ذَلِكَ لِلصَّدِيقِ رَدْفَيْرَنْ ...

كان صوت تریزا بعيداً عن سمع بنی لوهنها، وطمأنتها بجهد كبير:

- فكدة حسنة... لن نقول له شيئاً.

- سينقوا، انك كيت تلسين الشاب الدافئه.

- هل يزعجك أن أتركك؟ الحرارة لا تطاق سأستبدل ثيابي  
ببنطلون قصير وسأضع قبعة قش عريضة.

## - هل الطقس دافئ اليوم؟

دافتري.. إنه محرك.

أزعجت بني هذه الكلمات لأنها أحسست مرة أو مرتين أن الهواء كان  
قارساً تقريباً، وشعرت عدة مرات بقشعريرة برد تسري في جسمها.  
كانت شيرلي تدخل البيت عندما صرخت بني إليها ولكنها لم تسمعها.  
تريزا... أين تريزا ولماذا لم تعد يصندلها؟ عضست شفتها ندما على  
قولها لتريرا بالا تتعجل. وتعرف أنها لا تجرؤ على الذهاب إلى  
غرفتها حافية القدمين خوفا من تلك البراغيث اللعينة... ومن ماكس  
أكثر. وماذا إذا أصابها البرد مرة أخرى؟ تبين لها أن تريزا فهمت  
تعليمات ماكس الذي شدد على ثياب دافئة ومعطف وساط لرحلتها.

- يا إلهي ماذا أفعل؟ ماذا سيقول؟

مع مضى الوقت ازداد اضطرابها، وكانت أطراف يديها باردة كالثلج والهواء يهب بارداً. ولم تمض دقائق إلا وكان كل جسمها بارداً رطباً كما كان ليلة انقادها من وادي البحيرة مذ أسبوع. أخذت تصرخ بأعلى صوتها، ولم يسمعها إنسان بسبب المسافة التي تفصل بينها وبين البيت. أين ماثيو البستانى؟ أين تريزا؟ أخذ الفزع يستولى عليها... ورأت سيارة غراهام عن بعد متوجهة إلى باحة البيت. نزل غراهام من السيارة وحياتها قاتلاً بشاشته المعدودة:

- قلقنا بسبب شيرلى ولكنك أنت التي تستحقن القلق.

- لا أفهم شيئاً. من المستحيل أن يصيبك البرد. هل غطيت جسمك كما قلت؟

تابع كلامه واثقاً إن بني عقلت كما طلب منها.

- مستحيل أن يصيبك أى أذى بخروجك إلى الحديقة... ومع ذلك... وضع يده على جبينها وهو بعد مذهول.

- سأذهب.

قال غراهام مرتبكاً قليلاً.

- وأرجو أن تتحسن بسرعة.

- شكرًا يا غراهام.

- أخبريني يا بني، هل حميت جسمك بثياب دافئة؟

كان صوت ماكس منخفضاً وقلقاً ولطيفاً أكثر مما توقعت بني، وكان يده لا تزال على جبينها رطبة ناعمة.

- كان المعطف يغطيك يا عزيزتي والبساط حول ساقيك، أليس كذلك؟ عزيزتي؟.. تجعد جبينها تحت يده عندما حاولت أن تفكك بصفاء ذهن. كان رأسها يؤلمها ولم تتمكن من حصر أفكارها... عزيزتي... هل قال... عزيزتي... أم يا عزيزتي؟ لماذا يناديها هكذا؟ كان ينظر إليها بشيء من الغرابة وهو ينتظر جوابها. ستكره نفسها إذا هي أخذت الحقيقة، ولكنها يجب أن تخفيها عنه لتحمى تريزا.

- أنا... أنا...

- نعم، ستقول ذلك أيضاً.

كانت بني عابسة. ماذا كانت تقول؟ هل خلطتنا لتكتنبا على السيد رديفرن؟ لمست رأسها فتبالت يدها.

- نعم يا تريزا، استعملت البساط... دخل غراهام بعد خروج تريزا وبعده بدقيائق أنت شيرلى.

- ما بها يا غراهام؟ أصابها الخوف على بني التي كانت تبدو بلا حياة.

أفهمها غراهام ما حصل، وسمعت بني صوت شيرلى وكأنه همس يقول بأنها ستأتي بنورا. ولكن شيرلى سمعتها تطلب منها قدر ماء بارد لتطفيء عطشها الحارق. وقال غراهام بعد خروج شيرلى:

- أليس من المستحسن استدعاء الطبيب حالاً؟ هل حالتك سيئة؟

- لماذا الطبيب؟

كان ذاك ماكس. كان واقفاً في الباب بقامته الطويلة الرشيقية وسحنته البرونزية. سلط نظره القاسي عليه مما أجمل غراهام. تقدم ماكس بسرعة نحو السرير وأخذت الدهشة منه مأخذها وسألها بقلق شديد:

- ماذا جرى يا بني؟

- شعرت بالبرد عندما كنت في الحديقة، ولكن ذلك سيزول عندما يدفأ جسمى.

هز ماكس رأسه قاتلاً وهو لم يفق من الذهول بعد:

- أخبرتني شيرلى أنك مريضة، يا عزيزتي.

حكت لها بني قصة خروجها وإهمال ما نقلت إليها تريزا من تعليمات ماكس، وأضافت والحزن ياد في عينيها:

- بالطبع غضب لأنه اعتقاد بأنى تحديته عمداً.

- لا تلوميه على ذلك، ولقد تحديته مراراً في السابق، وأنت خير من يعرف.

لم تجب بني.

من المؤسف أن تكوني مريضة في الفراش بدل أن تستقبلني والدك الذي سيؤله وضعك.

- لا أعتقد أن مرضي بهذه الخطورة ولو أن مظهرى رهيب.

ومددت يدها قلست شعرها المبلل المشعث.

قد يتحسن حالى حالما اتناول الحبوب التي سيسأتأتى بها ماكس.

- اعتقدت أنه لن يعود بعد هيجانه بهذه الصورة.

- غضبى ألمى، وأخشى ألا يسامحنى بعد أن تقارينا وتفاهمنا.

قالت والأسى طاغٍ عليها من المرض.

- هذا درس لك، لكن لا تشغلى بالدك كثيراً يا بني.

التفتت نورا إلى الباب من حيث خرج ابنها قبل بضع دقائق، ثم قالت:

- لماكس مزاج رهيب ولكنه لا يحقد، وسينسى ذلك في وقت قصير اطمئنى.

لم تقو على الكذب، ولا لم تجد بديلاً عمدت إلى اكتساب الوقت.

- ماذا قلت يا ماكس؟

- لا بأمس عليك يا بني. لا تتكلمي إذا كان الكلام يتعbek. سأتى لك بشئ، تتناولينه ...

ولكنه هز رأسه من جديد وقال بذهول:

- أنا الملوم لأنى سمحت لك بالخروج مع أنى كنت متاكداً من أن ذلك لن يؤذيك.

- كان الطقس شديد الحرارة وقلت لنفسى إن الثياب الخفيفة تكفينى، ولم أهتم بتريزا يقيناً منى بأنى لن أصاب بالبرد مرة أخرى.

- يقيناً منك، هيء؟ وما هو يقينك الآن؟

لم تجب، وزاد حنقه.

- فى رأيك أن كل إرشاد أقدمه لك تافه. وها البرد يهاجمك يعكس كل استنتاجاتك الذكية وسيطلب شفاوك وقتاً أكثر مما تتصورين!

ودون انتباه رفع يده بحركة عفوية ولكن عصبية جعلت بني تجفل منها، وكان من نتيجتها أن طفح كيل غضبه إلى حد الجنون إذ قال:

- بحق السماء، لو لم تكوني مريضة لأذقتك الأمرين، أو بالحرى كان يجب أن تتلقنى درساً قاسياً منى قبل ذلك، أو كان على والدك أن يدربك على الطاعة. وقد يكون والدك زوجاً صالحًا ولكنه ليس أباً قديراً!

عند ذلك ترك الغرفة بخطى واسعة ولم يلحظ نوراً التي تنحى جانبًا لتفسح له مجال المرور، ثم دخلت الغرفة واقتربت من سرير بني.

شخصياً، ولكنه هذه المرة أكثر غضباً وأشد قساوة.

- هل تشعرين بالجوع يا عزيزتي؟

وسألتها نورا بقلق:

- أتريدين حسناً أو شيئاً آخر؟

- شكراً، لا أستطيع الآن.

ظللت نورا واقفة قليلاً ثم ذهبت. رفعت بنى عينيها باكيتين إلى ماكس وقالت بصوت فيه ندم وتأثر حقيقياً:

- آسفه!

- أنت دائمًا آسف.

قال بلا قلب:

- تورطت والدتي مع أشخاص غريبين الأطوار، ولكنك أغريتهم وأكثرهم ازعاجاً. وإذا كان والدك من نمطك فستدب الفوضى في بيتي إلى حين رحيلكم!

تغلبت بنى على ضعفها ولم تتحمل أن يذل والدها في غياب...

- كيف تجرأ أن تتقوه بأشياء مثل هذه عن والدى؟ إنه ليس مثلى بالمرة... إنه لطيف وظريف.

كان صوتها مهتاجاً ولم تعنّه أبداً بما قالت.

- هيئات أن يتساوى لطفك معى ولطف والدى معى. لك قلب قاسٍ! لم يجد على ماكس أى تأثير حتى عندما انفجرت بنى بالبكاء.

عاد ماكس بالأقراص وقدح من الماء. أمرها بأن تجلس دون أن يساعدتها. كافحت بنى لتجلس وبكل تواضع تناولت الحبوب. ورمقتها بنظرة خفيفة وهي تشرب فبدا لها داكناً في حالة من نور. أصابتها رعشة، وأمرها بالتهدد ثانية بعد أن أخذ منها القدح. وعندما تكلم لم يظهر عليه أنه منتبه لوجود أمه:

- ومن الآن فصاعداً ستتعلمين ما أقوله لك. ستعيني أوامرى، نعم... أوامرى. وستقومين تماماً بما تطلبه منك تريزا. وعند أو إشارة تحد منك سيكون حسابك معى.

- ماكس، كيف تكلم بنى بهذه اللهجة؟ أنا لا أذرها لسلكها، لكنها مريضة. لا يوجد في قلبك مكان للتفاضل؟

- لم تكن مريضة بعد ظهر اليوم عندما خرجت بثياب خفيفة جداً. - لا تبالغ يا ماكس في فقدان صبرك وهز كتفيك. وأنت تعرف كم أكره هذه الحركات...  
- إذن، أرجوك لا تتدخل.

قالها بهدوء وأدب، ثم تحول إلى بنى:

- هل تشعرين بالبرد؟

هزت رأسها وأحسست بخناق منها من الكلام.

- من المؤكد أنك تشعرين بالبرد. سأرسل قنينة ماء ساخن مع تريزا:

دمعت عيناً بنى. في المرة السابقة كان هو الذي يأتى بالقنينة

- إنه الطف مني؟ الطف مني!

قال ماكس ذلك وهو يصرف أنسانه.

- هذا يعني أن مسلكك معه يختلف عن مسلكك معى أنا لأن  
تصرفاتك منذ مجئتك تجعل الواحد ينفجر!

أمضت بني أسبوعين قبل أن تستطيع النهومن و تستعيد بعض  
نشاطها. والدها كان قد وصل يوم السبت وكانت نورا وابنها في  
استقباله. وبينى تعرف أن ماكس يرافق مواقف أبيها عن كثب، وتأمل  
من كل قلبها أن يكون والدها قد أعطاه انتسابات حسنة. وحال  
وصوله توجه إلى غرفة ابنته وحزن كثيراً ولكنها سرت ببرؤياه. تأملته  
ورأته أكبر بقليل من ذى قبل. وكان شعره يتخلله البياض هنا وهناك  
بعد أن كان كله بلون الحديد الرمادي. ولمس شعره وكان يعد كثيفاً  
فافتخرت به وداعبت خصلة كانت تتدلى فوق حاجبه.

- ماذا حدث لصغيرتي؟ قالت لي نورا إنك وقعت فريسة المرض مرتين.

صوته هو هو، برنته المحبوبة وبرازانته التي تعكس طباعه وخلقه.

- أصابني برد في المرة الأولى ولكن سقطت مرة أخرى فريسة له.  
أنا أحسن حالاً الآن، هذا ظنى على الأقل.

أضافت عبارتها الأخيرة عندما رأت ماكس يدخل حاملاً دوامها.

- نعم، حالي مرضية.

وقال ماكس باقتضاب:

- ألم أطلب منك أن تضع شالاً على كتفيك إذا جلست؟

- بل وضعته. أوه، عفواً، لقد سقط.

حاولت إعادة الشال كما كان، وكانت تتلوى من الجهد. انحنى  
ماكس ليساعدها وكان فمه قريباً من أذنها فhzdrها هامساً بأن تفعل  
كل ما يقوله لها.

كان يوماً بهيجاً عندما سمع لها بتمضية بعض الوقت في الحديقة،  
وكان استشاؤها سريع الخطى فما لبثت أن تركت سرير المرض نهائياً.

- ستتمكن الآن من القيام ببعض النزهات في أواخر كل أسبوع.

قالت نورا وهم جالسون في الشرفة مساءً:

- لم ترغب في أن تترك وحدك يا بني.

كان جالساً كأنه متضجر، إلا أن بني كانت ترقب فيه اهتمامه بأبيها  
وبعلاقته مع أمها.

- جعلتني تلك السيدة الصغيرة أشعر بالفخر.

قال جايمس وهو ينظر إلى شيرلى التي كانت جالسة تتطلع حالمة  
إلى البحر المحملي اللون الذي يعكس السماء المرصعة بالنجوم  
والمتلائمة بيدر ساطع ثم تابع:

- وتندفع حواسى عندما أكون في رفقة فتاة جميلة، كشيرلى،  
تكرس وقتها لي.

يبدو أن والدها أحب شيرلى. واطمأنت لأن تقدير رجل مثله يعيد  
إليها الثقة في نفسها، وهذا ما تحتاج إليه.

- كان يودينا أن نذهب إلى مستوطنات الكربسي، إلا أن ماكس قال

قالت بنى حالة:

- ويبدو أن الانجليز والفرنسيين كانوا عاكفين على إبادة هنود الكريبي.

- إنهم متواشون على ما أظن.

قالت شيرلى بدون اهتمام ظاهر:

- كانوا متواشين وقاتلوا بشراسة، ولكن لا يعني هذا أنه يجوز إهلاك أمة بكاملها.

- كانوا من أكلة لحوم البشر!

أضافت شيرلى مشمذنة:

- كنا مثلهم نحن أيضاً.

- أوه، كلا يا بنى. لا أعتقد أن هذا صحيح.

علقت نورا على الفور.

- من أين أتيت بهذه الفكرة؟

- ألم يكن جميع البشر من أكلة لحوم البشر في يوم من الأيام؟

- لا يروقني هذا التفكير.

و حول جايمس الحديث إلى الكريبي فقال:

- ما هي اللعنة الكريبية التي نسمع عنها؟

- هل تعرف شيئاً عنها يا ماكس؟

سالت نورا ابنها.

إن الرحلة تستوعب يوماً واحداً ويجب أن نستخدم دليلاً.

تكلمت شيرلى عن هذه الخطة بخلاص، ولكن ذكر الدليل كانت تقصصه اللياقة فالتقت بنى إلى ماكس ورأى أن بريقاً من الغضب ملئ في عينيه ولم تفهم سبب ذلك.

اقترحت نورا أن يذهب جميعهم وقد يأخذهم ماكس في سيارة اللاندروفر.

- مدهش.

قال جايمس ملتفتاً إلى ماكس:

- سنذهب عائلة واحدة.

حبست بنى أنفاسها. كيف يتجانس ماكس مع والدها؟

- هذا ممكن. سأقوم ببعض التدابير.

لم يكن في نبرة صوته حماس أو بروء، ولكن بنى اطمأن إلى اهتمامه بالرحلة. ثم أضاف ماكس:

- الآن نستطيع أن نذهب. فقد تحسنت حالة الطرقات.

- انتظر ذلك بفارغ الصبر.

وقال جايمس وهو يبتسم إلى ابنته.

- أعلمتك نورا عن مستوطنات الكريبي. ومن المحزن جداً أن يكون هذا كل ما تبقى من أمة كانت قوية فيما مضى.

- الحروب لا تبقى ولا تذر!

قالت بني بعد تردد قصير:

- أنت يهمك كثيراً أن يتودد الناس إليك. كلنا نرغب في أن يحبنا الناس، لكنك تحبين أن تكوني مركز اهتمام الغير بك.
- هذا بسبب ماكس وأعترف بذلك. اعتدت أن ماكس سيقترب إلى أكثر عندما أتيت إلى هنا... ويتزوجني.
- إن ماكس يحبك وهذا واضح في طريقة معاملته لك، وأنت قلت إنه لطيف جداً.

وقارنت بني في ذهنها بين لطف ماكس مع شيرلى ولطفه معها هي. وحزنت لأن درجة لطفه معها أدنى بكثير من درجة لطفه مع شيرلى، خاصة بعد أن أهملت تعليماته الأخيرة. والدليل على ذلك أنه لم يبد اهتماماً بها أثناء مرضها غير تقديم الدواء لها، واقتصرت زياراته لها على مرتين أو ثلاثة يظل أثناءها واقفاً، بخلاف زياراته لها أثناء مرضها الأول حين كان يجالسها ويلاطفها ويقوم على خدمتها بكل ما في الكلمة من معنى.

إنها تقر بخطاها ولكنها ضحية هفوات، والذي يؤلهمها كثيراً هو أن ماكس يتهمها بأنها تتجاهله عن قصد بينما هي تؤكد له عكس ذلك. لن تستطيع الآن أن تفاته في هذا الموضوع لأن التباعد بينهما أصبح كبيراً جداً.

- أعلم أنه لطيف معى لأنه يشفق على فقط.

دل صوت شيرلى على الشعور بالحزن. وأسفت بني لوحدة شيرلى التي وعدتها بصداقتها وبمرافقتها أحياناً في نزهات، أو مجالستها في

- يرجع تاريخها إلى أيام أكلة لحوم البشر، ولما رأى أحد رؤساء القبائل أنه يوشك أن يقع أسيراً، قذف بنفسه من صخرة عالية إلى البحر وهو يرسل اللعنة بأعلى صوته. لعن كل البيض، وظل الفرنسيون يخافون من هذه اللعنة مدة طويلة.

علقت نورا على هذا بقولها:

- أتذكر الآن أن هؤلاء الكريبيين كانوا يقولون إن الفرنسيين الذين طعموا إلا أنهم كانوا يفضلون الانجليز عليهم.

أضحك هذه العبارة كل الحاضرين إلا شيرلى التي لم تتردد في القول بأنها سعيدة بزوال جميع هؤلاء الهنود الكريبيين.

قال جيمس:

- إنه عار علينا إذا هم تلاشوا كلية. أعتقد أن ما تبقى منهم يتمتعون بالحماية.

قال ماكس:

- إنهم في أمان، ولكن يجب علينا أن نقدم لهم هدية عندما نذهب لنزورهم لأنهم يحتاجون كل مساعدة، ومن عادة الزوار تقديم الهدايا لهم.

قال ذلك وتركهم، ورأت بني أن مكتبه قد أضنه. ذهب جيمس للنزهة برفقة نورا وبقيت بني وشيرلى في الشرفة.

- إنني أحببت والدك يا بني.

قالت شيرلى بعفوية وهي تبتسّم:

- وهل لاحظت أنه يحبني هو أيضاً؟

- ولا واحد... هذا يخيفني يا بني.

- لا يجب أن تخافي. هناك ماكس وأنا... وماذا تقولين بغرهام؟

تورد وجه شيرلى ولعنت عيناهما.

- خرجنا معًا مرة أو مرتين.

- صحيح؟

مالت بني إلى الأمام وتفرست في شيرلى وسألتها:

- إلى أين ذهبتما؟

- سرنا على الأقدام ومن ثم ذهبت معه إلى حيث يقيم. البيت ليس كبيراً وهناك شاب صغير يقوم على خدمته اسمه هايانسنت... توجد أسماء غريبة هنا.

- هل يعرف ماكس أنك تخرجين مع غraham؟

- كلا. يعتقد أنى أخرج مع ميريل فيريانكس.

ضحك شيرلى لهذا السر.

- ولهذا لا يعارض في خروجي في المساء.

- أحذر يا شيرلى من أنه قد يطلب التعرف على ميريل هذه.

- هذا ما أخشاه. هل يمكنك أن تعملى شيئاً يا بني؟

- مثل؟

هزت شيرلى كتفها وقالت:

- أنت حاذقة، يمكنك إيجاد وسيلة ما لتطمينه.

البيت، ولكن هدفها أقعدها عن ذلك. وصحيح أن شيرلى كانت تأتى لزيارتها إلا أنها كانت دائمًا عصبية تريد أن تخرج من فقصها. كانت تخرج أحياناً تنزه بمفردها طبعاً، ولكن بني تعرف تماماً أن شيرلى بحاجة إلى رفقة تكون خاصة بها لا تفارقها.

وأضافت شيرلى:

- إنى أعرف الآن أنه لن يتزوجنى.

ابتسمت بني وقالت:

- وليس كما في الكتب.

- كنت أعتقد أنه سيتزوجنى حتى إذا لم يكن ذلك في الكتب.

- كما قلت لك، ربما قدر ماكس لا يتزوج.

- كان يحبك عندما مرضت المرة الأولى.

- هذا صحيح، تقارينا بعض الشيء.

تهدت بني ولاحظت شيرلى ذلك.

- ألا تبالين أنه غاضب منك الآن؟ وأنه لا يحبك كالسابق؟

لم تجب بني.

تابعت شيرلى كلامها:

- في الحقيقة، ماكس ليس وصيغاً على بالمعنى الصحيح. اهتم بتربيتها لأنه لم يعد لي إنسان في هذا العالم.

- حسناً فعل. ألا يوجد لك أقارب البتة؟

عده مرات أثناء مرضها الأول؟ تذكرت بني الآن أن ماكس نفسه مازحها بصدق ذلك.

- لا أرى سبباً لشكوكه. هذا شيء طبيعي بين الأصدقاء.

- ولكن ماكس لا يأخذ ذلك في عين الاعتبار. قد يعتبر غراهام صديقاً عابثاً.

- ربما.

قالت ياسة:

- وبما أن ماكس لا يحبك فإنه لن يحب غراهام أيضاً، ومما يجعله متاكداً من أن غراهام عابث في خروجه معى. ألا ترين هذا مربكاً؟ كلا، لا أستطيع أن أقول الحقيقة له.

بعد أن تركتها بقيت بني وحدها في الشرفة، وفجأة تفتح ذهنها على حيلة شيرلى ومكرها.

فبالرغم من أنها فقدت كل أمل في الزواج من ماكس مازالت الغيرة تأكل قلبها. فهي لا تريد لغيرها ما لا تستطيع الحصول عليه، ولذا تحاول أن يجعل ماكس يعتقد أن غراهام فعلًا يغازل بني وغيرها من الفتيات ولذلك تحتفظ شيرلى بعلاقتها السرية بغراهام.

- تعنين أنه يجب أن أخترع كذبة، أليس كذلك؟ لا تتكل على يا شيرلى، كفاني متاعب مع ماكس. لن أكذب حتى لو كان ذلك ينفع حياتي.

- لن يكشف ذلك أبداً.

- لن أجائز. كلا يا شيرلى، لا تأمل في أية مساعدة مني. في كل الأحوال، لماذا لا نتكلمين ماكس عن غراهام؟ إنه شاب عاقل وورصين، ومن المؤكد أن ماكس لن يخاف عليك منه.

- لا أستطيع يا بني، فقد يظن أن غراهام شاب عابث وأنه يلاحق الفتيات.

- وما السبب في ظنه هذا؟

- كنت مريضة في الفراش وكان غراهام في زيارتك، وفجأة دخل ماكس غرفتك ووجد يد غراهام ممسكة بيديك. فسحب غراهام يده بسرعة. والمهم في الأمر أن غراهام سحب يده خوفاً من نظرية ماكس الغاضبة.

- نظرة ماكس الغاضبة...؟ ماكس نظر إلى غراهام بغضب؟ لملاحظ ذلك في حينه، ولماذا يغضب ماكس؟ لم تجب شيرلى، بل أخذت أ jelan عينيها تترافق وخففت رأسها ومضت ببرهة من الزمن قبل أن تجيب:

- اعتقاد أن ماكس لم يجد من المناسب أن تكونا في هذا الوضع وأنت في الفراش.

لماذا يعتبر ماكس هذه الحركة غير ملائمة بينما هو نفسه كررها

زاروا قريتين بعد ذلك. أما القرية التالية فكانت أقل نظافة وترتباً ومساكنها عبارة عن أكواخ فقيرة. لكن ما لفت أنظارهم كان قارب طويل نحيف محفور من جذع شجرة، تماماً مثل قوارب أجدادهم. وبعد زيارتهم لقرية ثانية ودعوا جزيرة الكريبي وعادوا إلى البيت. كان ماكس يقود بتمهل لكي يتمتعوا أنظارهم بجمال الطبيعة. وقليلًا ما كان ماكس وجایمس يتبدلان الحديث. أبدى ماكس قليلاً من الفتور نحو جایمس منذ وصوله، إلا أنه كان يعامله بأدب واحترام كما يستحق الضيف.

لم تعرف بنى إذا أحس والدها بشعور ماكس نحوه، ولكنها لاحظت أنه كان متحفظاً نوعاً ما مع ماكس، رغم أنه كان لطيفاً ومودياً وذا قلب مفتوح. وعلقت بنى أمماً كبيرة على فرص التقارب التي كانت هذه الرحلة أولها. راقبتهم النهار بطوله ولاحظت أن تصرف ماكس مع والدها كان أقل جموداً في نهاية الرحلة. ولا يعني هذا التحول الطفيف، أو التقاء جایمس بنوراً في معظم الأوقات، إن ماكس قد وافق على الزواج، ولكنه يدل على أن نوراً مصممة على مشروع الزواج. إلا أن هناك نقطتين تقلقان بنى. فإما أن تتزوج نوراً من جایمس بالرغم من معارضة ابنها، فيقع انشقاق بينها وبين ماكس، وإما أن تتأثر نوراً برفض ابنها فتفضل عن أبيها.

توقفوا على جانب من الطريق خارج إحدى القرى، وتناولوا طعام غداء خفيف، واقتربت نوراً أن يتوقفوا بعد الظهر في مكان جميل آخر ليتناولوا الشاي. رد عليها ابنها بقوله إنه يعرف مكاناً ملائماً، وبعد برهة أخذ يساره ودخل وادياً جميلاً يمر فيه نهر لايو.

- هذا جميل جداً.

## ٩ - كذب بلا قناع

قاموا برحلة إلى مستوطنات الهندو الكريبيين يوم السبت التالي. كان ماكس يقود السيارة وكان جایمس جالساً بجانبه ونوراً والفتاتان في المقعد الخلفي.

وما أن دخلوا منطقة المنحدرات الشديدة، الكثيرة الصخور حتى رأوا أن أهلها يختلفون اختلافاً كلياً. فأهل باقي أنحاء الجزيرة من السود بينهم عدد محدود من البعض، وسكان هذه المنطقة من الكريبيين جنس منعزل يعيش في المستوطنات وعلى أراضيها المحيطة بها وينتخبون رئيسهم الخاص بهم.

- إنهم يشبهون الهندو تماماً.

قالت شيرلى عندما كانت السيارة تسير على مهل في شوارع إحدى القرى في جبال خليج الأمير روبرت:

- هل توقعت أن يكونوا بغير هذا الشكل؟

قال ماكس.

- ظننتهم أكثر سواداً.

- لماذا نعيش في كوخ وأنا أملك مالا وفييرا يمكننا من شراء بيت فخم مثل الفيلا التي نسكنها؟  
 - لاشك في أنك تملكون الكثير من المال.  
 أجاب جايمس بصوته الناعم الهادئ.  
 - ولكن المال الذي لدى لا يكفيانا إلا لشراء كوخ وإدخال التعديلات اللازمة عليه، ولكن لن يتحول الكوخ إلى فيلا.  
 ضائق كلام والدها بنى، لأنه يتكلم بما يفكر ولا يهتم بالنتائج.  
 - بعد زواجنا يكون المال لنا الاثنين لا لى وحدي.  
 كانت كلمة نورا موجهة إلى خطيبها وبصورة غير مباشرة إلى ابنها وتابعت كلامها قائلة:  
 - إذا قررنا العيش على هذه الجزيرة سنشتري بيتاً جميلاً في مزرعة بين التلال.  
 - سنبحث ذلك فيما بعد  
 قال جايمس باقتضاب.  
 لاحظت بنى أن والدها كان محتدماً بعض الشيء لأن هذا الموضوع أربكه، رغم أن له مزاجاً هادئاً لا تثيره الكلمات أو العبارات بهذه السهولة.  
 توقف ماكس قائلاً إن هذا هو المكان، واضعاً حدّاً لحديث قد يتحول إلى نقاش حاد لأن عيني نورا كانت تتقلان يميناً ويساراً بحركة عصبية. نزلوا من السيارة وبحثوا عن بقعة ملائمة. كان المنظر جميلاً خلاباً لم تتمكنك بنى إزاءه من إبداء ذهولها.

قالت شيرلى.  
 - لا نستطيع البقاء هنا يا ماكس؟  
 - أعرف مكاناً أجمل من هذا.  
 لم يزد على ذلك ولكنه التفت بعد ذلك إلى جايمس وقال:  
 - هل أحببت جزيرتنا يا سيد دافدسوون؟  
 فأجأ هذا السؤال كلاً من نورا وبنى والتفت الواحدة إلى الأخرى بدهشة.  
 - إنها رائعة وجميلة.  
 أجاب جايمس بصوته الهادئ الموزون.  
 - إنكم محظوظون كونكم تعيشون هنا.  
 - هل تحب العيش هنا دائمًا؟  
 سألته نورا وهي تراقب وجه ابنها في المرأة.  
 - ذلك سهل إذا رغبنا فيه.  
 - أسعار البيوت والأراضي مرتفعة بعكس ما يتصوره البعض.  
 كان صوته جافاً بعض الشيء. ولكن جايمس قال:  
 - يمكننا أن نتدير في شراء شيء يوافقنا. لا نحتاج أنا ووالدتك قصراً فخماً مثل قصرك. قد نجد كوخا جميلاً أو ما شابه.  
 لاحظت بنى أن ظهر ماكس تصلب قليلاً. إما لأنه لا يتصور أنه متزوجة أو لا يتصورها تعيش في كوخ. وعلقت نورا على كلام جايمس قائلة وهي صوتها نوع من التحدى لأنها هي الأخرى لاحظت تصلب ظهر ابنها:

- ثروة؟

الآن فقط فهمت سبب معارضته في زواج والدته الذي سيحرمه من مالها... أضافت:

- لا تخل عن نورا يا والدى. سيعطهم قلبها. فهي تحبك.

- ولكن لى كرامتي يا بنى.

- شعورك بالكرامة أو كبراءة النفس قد يتسبب في اخطار. أن حياتك لأهم بكثير. وإذا افترقتما فلن يعرف أحدكم السعادة مرة أخرى.

- لا أستطيع أن أتزوج نورا في أحوال كهذه، فقد يخلق هذا مشاكل ومتاعب.

دلّ صوته على قرار نهائى. فلم تتمالك بني من البكاء بكاء حارا، واستطاعت رغم ذلك أن تقول:

- كنت أتوقع خلاف ذلك، أتذكر كيف كان نتكلم عن المستقبل؟ كما نقول إنه ستكون لك زوجة وستكون لى أم... وأخ؟

- أخ...؟

تقلصت عضلات وجهه كمن يشعر بالألم مفاجئ. ومن ثم انبسطت أساريره وقال:

- بنى، يبدو لي أن والدك لم يكن الأحمق الوحيد في كل هذا. كان والدتها قد قرأ ما بين السطور وهي تعيد على مسامعه قصتها مع ماكس...

ما عسى والدتها أن يفكر الآن؟ أما هي فقد أحست باشمنزار،

نظرت بني إلى والدتها ولاحظت عبوساً على وجهه.

سألته ببني بصوت خافت متخففة من سماع ما لا يعجبها:

- ما بك؟

بلغ ريقه قبل أن يتكلّم وكان ينظر أمامه. ثم هز رأسه وقال:

- مصاعب يا بنى. نعم، مصاعب كان يجب أن أتبه لها قبل الآن. إنتي في حيرة وأى حيرة، وارتباك.

التصقت بني بأبيها ووضعت رأسها على ذراعه. استولى عليها خوف كبير ولكنها سألت بصوتها الناعم:

- ما هي المصاعب يا أبي؟

- نورا... كان يجب أن أتوقع معارضته من ابنها.

هذا ما كانت تتغوفف منه.

النفت نحوها. ورأت فيه عينين حزينتين ولكن نظرة فيها عزم وتصميم مما جعل قلبها يدق بسرعة.

- أعرف أن نورا لن تفسح الخطوبة. ربما فسختها أنا.

لم تصدق بني ما سمعت وأخذت تهز رأسها محتجة:

- أنت... لا، لا تستطيع أن تعمل ذلك وتتخض له بهذه السهولة. فكر في حياتك وحياة نورا... أنتما حران في تقرير مصيركم.

- المال أساس هذه الصعوبة يا بني. لو لم تملك نورا هذا المال لهان كل شيء. ولكن ماكس سيخسر ثروة بسبب هذا الزواج. هل تدركين ذلك؟

نسيت أنها قالت لوالدها إن ماكس لا يعلم بوجودهما معاً.  
- هل كان معك؟  
- نعم، كنا نتحدث.

توقفت فجأة إذ أنها فطنت لهفوتها.

- إذن، لماذا تركك وحدك هنا في الظلام؟  
- أردت أن أبقى وحدي برهبة من الزمن.  
- لا تكوني حمقاء! لماذا تركك؟  
- قلت...

هل تطلعه على الحقيقة؟ هل تقول له إنها كانت تبكي بسبب معاملته لوالدها، وأنهما قررا العودة إلى إنجلترا وأن والدها سيعتقل عن نورا؟ لأن والدها لن يسمح لها بذلك، حيث إنه يريد أن يتحدث مع نورا أولاً. لم تستطع بنى اخفاء رجفتها وأجابت عندما سألها ماذا كانت تعمل عند النهر:

- سقط منديلى وأنا جاهزة لأن آتي الآن، وأسف لآن تركتكم  
شنترون.  
- يا بلهاه ما بك؟ لماذا كنت تبكين؟  
- لا أستطيع أن أقول لك.

وأرادت أن تقلت منه إلا أنه شد على ذراعها بقوة آلتها. وسألتها  
ثانية وهو يهزها هزاً:

لأنها أدركت أنه إذا كان من الجنون أن يقع الإنسان في حب رجل لا يرغب بالزواج، فأكثر جنونا أن يقع الإنسان في حب بخيل همه الوحيد المال، وتأمين ثروة والدته لنفسه بعد موتها. أيقنت الآن أن ماكس رجل لا يستحق حتى مجرد التقانة.

سمعت ماكس يناديها بصوت جاف وبلهجة الأمر. تجاهلتة بنى، لكن والدها تعلملي وبعد أن أمسك بيدها قال:

- علينا الآن أن نفكر جدياً في العودة إلى إنجلترا.

أومأت برأسها ولكنها أخذت تبكي بمرارة وقالت لوالدها:  
- اسبقنى يا أبي. أنا أبكي ولا أريد أن يرى ماكس أني... أن يرى الآخرون أني...

تركها والدها شبه مرغم. ونهضت بنى فاقتربت من النهر. غمست منديلها في الماء وأخذت تبلل وجهها، وفجأة انتصبت واقفة وجمد الدم في عروقها لأنها أحسست أنها لم تكن وحدها...

- كيف يحق لك أن ترغمنا على انتظارك؟ ألم تسمعيني أنا ديك؟  
كان هذا ماكس واقفاً وأمامها كالعملاق في غسق المساء.

- نعم... سمعت، وكنت ساتي حالاً.

كانت تعصر منديلها بعصبية وقلبها ينبض بسرعة من الخوف.  
وسألها ماكس:

- أين والدك؟ هل ذهب بمفرده مثلك هو الآخر؟  
- اتجه في هذا الطريق. أعتقد أنه وصل الآن.

- لماذا كنت تبكين؟ أهو غراهام؟

سألته مذهولة:

- غراهام؟ ماذا تعنى بقولك هذا؟

- أعتقد أن غراهام تخلى عنك مؤخراً.

- هو...؟ ماذا تعنى؟

هل شيرلى هي التي تخلق هذه المشاكل؟ وتابعت بني كلامها:

- ولماذا تعتقد أن غراهام تخلى عنى؟

حاولت الالفلاط منه إلا أنه كان قابضا على ذراعها بشدة.

- لأنى افترض أنكم كنتما تخرجان سوياً...

- لا، لم نخرج أبداً.

- لا تذكرى ذلك يا صغيرتى، أنت حرة في الخروج مع من تشائين.  
غراهام كان ممسكا بيديك في غرفة النوم، وهذا برهان على ما كان  
يحدث بينكمما ...

صرخت في وجهه:

- مهلا! لا يهمنى ما تقول!

وها هما يشاجران مرة أخرى ويتبادلان الاتهامات. أضافت:

- أريدك أن تعلم أنه لم يجرأ أي شيء بيننا، وليس لغراهام مركز  
خاص عندي، ولذا أعلم من أين أتيت بهذا الانطباع!

- إنه يخرج مع شيرلى الآن...

- أوه، وكيف عرفت؟

- كانت هفوة من شيرلى، والأصح هو أن شيرلى تفوحت بذلك  
عفوا وأجبرتها على قول الحقيقة.

- إنك تتبع دائمًا بأساليبك هذه.

- أنا مصر على معرفة سبب بكائك حتى لو بقينا هنا الليل كله.

- حسناً، أنا منزعجة لأن غراهام أهملنى كما قلت.

- كنت متأكدا حتى عندما كنت تذكرى ذلك بكل قوالك، وأنى  
محتر من أمرك. أنت تكذبين ولكن دون أن تقتنعيني.

اذهلاها كلامه. هل تحتاج الحقيقة إلى اقناع أم أنه يقول ما يتوازد  
على خاطره أو يتعمد إهانتها؟ كيف يمكن التوفيق بين هذه الوسيلة الدينية  
وبين قوة خلقه؟ حاولت جهدها كى تستخرج شيئاً واضحًا من أقواله... لأنها  
لا تستطيع أن تستخلص أى شيء من عينيه في الظلام. وكلما فكرت كما  
صعب عليها أن تفهم شيئاً. في النهاية سألته مجرد الحديث:

- لماذا يكون كذبى غير مقنع؟

- لأن شيرلى قالت إن غراهام كان صديقك الشخصى، وأنه ابتعد  
عنك الآن وتحول إليها.

- أى أن غراهام كان صديقى؟ لماذا تسأل؟ ألا تصدق شيرلى؟

- سألك إذا كان ما قلته صحيحًا.

- نعم، نعم يا ماكس. كل ما قلته صحيح.

## ١٠ - نجوم بين الأشجار

كانت بنى ونورا منهماكتين في كتابة الفصل الأخير من الكتاب، ولكن لاستكمال هذا الفصل كان عليهما أن تنتهيما من بعض أعمال البحث. وقد قامتا برحالة لهذه الغابة إلى البحيرة ورافقتهم فليكس في هذه الرحلة بصفة دليل وسائق لسيارة الجيب.

عادتا متأخرتين من رحلتهما، ولكنهما توجهتا مباشرة إلى المكتب لدراسة النماذج وتدوين النتائج.

وجدت شيرلى هناك. وهذه هي المرة الأولى التي تلتقيان فيها منذ رحلة المستوطنات الكريبية. استغلت هذه الفرصة لتقول لشيرلى رأيها فيها. فسألتها غاضبة:

- لماذا تقولين مثل هذه الأشياء؟ أى لذة تشعرين بها عندما توهمن ماكس بأننى وغراهام نخرج سوياً؟

أجابت:

- لم أفكر فى أن ماكس سيعيد عليك ما قلته له، وأنى أتساءل لماذا فعل ذلك؟

تنهدت بنى وقالت:

- هذا لا يهم. ولم تجibbi على سؤالى بعد... لكن دعيمك من هذا لأنى أعرف الجواب.

- تعرفيه؟ ما هو؟

لاحظت بنى أن شيرلى لم تكن مررتاحه بالحال تمامًا. ولم تهتم بجوابها بل أنها قالت:

- لا حاجة بك أن تفارى مني يا شيرلى. ماكس يكرهنى كثيراً، وسيكرهنى دائمًا.

سألتها شيرلى بعجرفة:

- ما الذى يجعلك تعتقدين أنى أغارت منك؟

- كان هذا واضحًا منذ البداية، وأنت اعترفت بذلك. غضببت بنى من عدم اكتئافها.

- رجوتني أن أكون صديقة ولكن فعلتك هذه لم تكن عمل صداقه، ما قولك فى ذلك؟

- إذا لم يتزوجنى ماكس أريده أن يبقى عازبًا.

قالت شيرلى ذلك بمنتهى الصراحة وأضافت:

- هل يهمك إذا كرهك ماكس؟

- أنا لا أبالى مطلقاً برأى ماكس فى.

أجابت بنى بعصبية.

- إنه حرّ فى أن يعتقد أنى لي عشرة أصدقاء! وأما عن تمثيلاتك

مشى كلاهما إلى مقعد خشبي تحت شجرة أرز، وجلسا يتحدثان  
بانتظار وصول الآخرين للإفطار. وكان من جملة الحديث أن سأله بني:

- هل قرارك النهائي؟ ألا تعيد النظر فيه؟

أخافها منظر والدها الذى تقدم فى السن منذ وصوله، وكل ذلك  
بسبب ماكس.

- حاولت أن أخبر نورا إلا أنها منشغلة حتى أنتا لم تتفاهم إلا  
القليل طيلة هذا الأسبوع. وسأحاول أن أخبرها هذا المساء إذا  
اجتمعت بها. نعم يا بني، قرارى نهائى.

- متى، متى سنرحل؟

التفت أبوها إليها وأخذ ينظر إليه بانتباه، ثم قال:

- حمالا أرتب أمور السفر، فـي أقرب وقت ممكن.

حزنت بني لهذا القرار، ورأيت أنها ووالدها سيتغلبان على أحزانهما  
إذا تركا الجزيرة في العاجل القريب. قالت:

- أنت على حق يا والدى، وعلى أن أعلم نورا باستقالتى مسبقاً.

- سيكون كل ذلك مفاجأة لها.

لكن المفاجأة الكبرى كانت شيئاً لم تتوقعه بني أبداً. فعندما دخلت  
نورا المكتب في صباح اليوم التالي، سلمتها رسالة بطردها من العمل.  
والذى أذهلها أكثر من ذلك كان ثورة غضب نورا، تلك المرأة الهدامة  
اللطيفة. تكلمت نورا بعصبية جامحة وهى تقول:  
- سأتخلص منكم انتما الاثنين.

أن يبقى أعزب، فهذا أحسن شيء، لأنه إذا صدف وتزوج فستكون حياة  
زوجته مليئة بالتعاسة والشقاء.

- أوه... إنك غاضبة يا بني ، وهذا ليس من عادتك! هل ماكس هو  
السبب؟ ما الذى يجعلك تعتقدين أن زوجته ستكون تعيسة؟ كنت أريد  
الزواج منه. أتذكرين؟

- أنت محظوظة لأنه ليس من رأيك، فهو حالٍ من الإحساس، أو  
حتى الشرف.

وتابعت بني قولها:

- ويعتبر نفسه إنساناً خارقاً فأصبح متغطساً لا يطاق. ولا يفهم  
للشعور أو للشفقة معنى، وأكثر من ذلك، أن طمعه في المال لا يحد،  
 فهو لا يفكر في أي شيء آخر... المال كل شيء بالنسبة إليه.

رأأنا ماكس فجأة يخرج من بين الشجر. وما أن اقترب منها حتى  
بادرته شيرلى بقولها:

- ماكس، هل سمعت؟

رفت عينيها بسرعة وهي تتكلم.

كان ينظر إلى بني بحقد وغضرة. ورغم أنها خفضت رأسها كانت  
تعلم أنه لم يرفع عينه عنها. وسمعته يقول لشيرلى:

- تعالى الآن. لنبدأ درسك!

كان والدها في الحديقة عندما نزلت لتناول الفطور. كان ينظر  
حالما إلى مياه بحر الكاريبي، وحيى ابنته بابتسامة وهي تقرب منه.

لم تصدق بني ما ترى وتسمع، وإذا كانت اعتقدت في السابق أن ماكس ورث مزاجه العصبي من والده، فقد رأت الآن أن لعصبية أمه حصة فيه. تابعت نورا قائلة:

- لا أتصور كيف أضيع وقتى على رجل لا يهتم بي وبهملى هكذا وأنا في هذا العمر! أوه، لا أستطيع أن أركز أفكارى فى عملى، لا أستطيع أن أشتغل... أنا المرأة النشيطة، لا أستطيع أن أشتغل الآن! وكتابى لن ينتهى في الوقت المحدد... لن ينتهى أبداً، ولن أبالى بذلك ولن أحاول حتى لمسه!

كانت بني واقفة ترتجف. تعرف أن الشخص الذي يسبب لها هذا الضطربان الهائل هو ماكس...

- يجب أن تنهى كتابك.

- الكتاب؟ هل هذا همك الوحيد؟ لست أفضل من أبيك... أبعدى عنى، وكلما أسرعتما في الرحيل كلما كان ذلك أفضل!

- لكن، نورا...

- لا تأدينى نورا! أنا رئيسك. تذكرى ذلك، يا إلهى! لا أعرف ما أقول. لست رئيسك الآن. لقد طردتك.

- نورا... عفوا. سيدة رديرين. لا أعرف ماذا قال لك والدى، ولكن...

- لم يقل شيئاً، بل هجرنى كما قلت!

- ألم يقل لماذا هجرك؟ ألم يبين لك السبب؟

- قال إنه لا يحبنى... لا يحبنى بعد كل تصريحاته وتأكيدهاته

السابقة؟ أنا حمقاء، عاطفية حمقاء، حتى أصدق كل ذلك. أعتقد أن ماكس على حق وأن والدك هو الآخر يهتم بمالى. ولما رأى أن ماكس واقف بالمرصاد ولن يعطيه الفرصة للحصول عليه تخلى عنى!

- كيف تتهمنى والدى هكذا يا نورا؟ لا يريد مالك أبداً! هل قال والدى إنه لا يحبك؟ هناك سوء تفاهم...

- قال إنه لا يحبنى.

- وقبل ذلك، ألم يقول أى شيء آخر؟

- كلا، أوه، نعم. قال إنه سيفسخ الخطوبة بسبب ماكس. قال إن له كبرىء، هو الآخر وكرامته، ولا يتحمل أن يقول ماكس عنه إنه صياد مال.

- وما كان جوابك على ذلك؟

- رفضت أن تفسخ خطوبتى لأسباب تافهة كهذه.

- وترفضين أن يكون هذا سبباً لفسخ الخطوبة؟

- قلت لك عدة مرات أن ماكس لن يؤثر على...

صممت بني. عندما رأى والدتها أنه لم ينجح في فسخ الخطوبة بعد تأكيدات نورا له أن المال ليس عائقاً بينهما، واكتشفت أن ابنته تحب ماكس الذي ربما لن يتزوجها، وجد أن الوسيلة الوحيدة لإبعاد بني عن دومينكا هو اختلاق طريقة مقنعة لفسخ الخطوبة، وهي أن يؤكد لنورا أنه لا يحبها، مضحياً بسعادة هو وسعادة نورا معاً.

لم تتمكن بني من ضبط نفسها حتى لا تبكي، وصممت أن تصارح والدتها بهذا الأمر، مع العلم أن أملاها ضعيف هى إقناعه لأنها تعرف أن

- نورا.. نورا! هل ماتت نورا؟

- أمي بخير.

كان الصوت هادئاً ومطمئناً. شعرت بنى بلمسة يد ناعمة على جبينها، رأت ابتسامة على وجه من كلمتها فابتسمت هي الأخرى.

- كيف خرجت نورا... كان كل شيء يطمرها.  
كان صوتها ضعيفاً.

- فعلت ما كنت فعلته أنا نفسى لو كنت هناك. اتجهت أفكارك مباشرة نحو تلك التي تحبينها أكثر من أي شيء آخر.

- من حسن حظنا يا جايمس أنك كنت هناك وإلا لما عاشت أمي، لأن كمية الأحوال التي دفنتها كانت أكثر من تلك التي دفنته.

- فعلاً كان هذا خطأ. كنت أتجول ولم أعرف أن بنى ونورا كانتا في تلك الأنحاء.

- إلا ترى أنك تحتاج إلى بعض الراحة؟ لقد عملت عملاً بطولياً في رفع الأنقاض عنهم.

- ولم يتأخر بعض الرجال في الانضمام إلى فريق الإنقاذ. أرجو ألا أقع في محنـة كهذه يا ماكس. بينما كنت أرفع التراب عن نورا كنت أرتجف خوفاً من أن تكون بنى في حالة نزع!

- لا تفكـر بذلك يا جايمـس. أتصـحـكـ بأن تستـريحـ. قد تـفيـقـ والـدـتـيـ بعد قـلـيلـ وـتحـبـ أنـ تـرـاـكـ بـجـانـبـهاـ عـنـدـمـاـ تـفـتـحـ عـيـنـيـهاـ، فـاغـتـمـتـ هـذـهـ الفـرـصـةـ وـاسـتـرـجـ.

لا شيء يثنـيهـ عنـ قـرـارـ اـتـخـذـهـ، زـادـ حـقـدـهـ عـلـىـ ماـكـسـ وـكـراـهـيـتـهـ لـهـ.  
وـتـمـنـتـ أـنـ تـقـتـمـ مـنـهـ لـتـشـفـيـ غـلـيلـهـاـ.

- حـبـيـبـتـيـ بنـىـ، أـنـتـ تـبـكـيـنـ..؟

- ليـتـيـ أـسـتـطـعـ إـعادـةـ المـيـاهـ إـلـىـ مـجـارـيـهـاـ..

- أـنـاـ مـتـأـكـدـةـ مـنـ أـنـكـ تـسـتـطـعـيـنـ، وـلـكـنـ لـاـ تـقـدـرـ أـنـ نـعـمـلـ شـيـئـاـ  
عـنـدـمـاـ يـكـونـ الـحـبـ مـنـ جـانـبـ وـاحـدـ فـقـطـ.

فـكـرـتـ بنـىـ فـيـ ماـكـسـ وـتـسـائـلـ إـذـاـ كـانـ لـهـ قـلـبـ يـحـبـ.

هـطـلـتـ أـمـطـارـ غـزـيرـةـ تـسـبـبـتـ فـيـ آنـهـيـارـاتـ أـرـضـيـةـ فـيـ الجـبـالـ. وـلـمـ  
تـنـتـبـهـ نـورـاـ وـبـنـىـ إـلـىـ الـخـطـرـ بـسـبـبـ اـنـشـغـالـهـمـاـ فـيـ التـقـيـبـ. تـسـبـبـ  
الـفـيـضـانـ فـيـ تـأخـيرـ عـمـلـهـمـاـ مـعـ أـنـ بـنـىـ كـانـتـ قـدـ وـعـدـتـ نـفـسـهـاـ بـالـانتـهـاءـ  
مـنـهـ قـبـلـ رـحـيـلـهـاـ عـنـ الجـزـيرـةـ مـعـ وـالـدـهـاـ فـيـ بـحـرـ أـسـبـوـعـ. وـفـجـأـةـ  
صـرـخـتـ وـالـرـعـبـ بـادـرـ فـيـ عـيـنـيـهاـ:

- نـورـاـ اـنـتـهـيـ...

كـانـتـ تـتـنـتـرـرـ إـلـىـ كـتـلـ مـنـ الـأـتـرـيـةـ وـالـحـجـارـةـ تـتـحدـرـ مـنـ الجـبـلـ، وـلـمـ  
يـكـنـ أـمـامـهـاـ مـجـالـ لـلـهـرـبـ إـذـ طـمـرـتـهـاـ هـذـهـ الـكـلـلـ فـيـ بـضـعـ ثـوـانـ بـعـدـ أـنـ  
صـرـخـتـ لـتـنـتـبـهـ نـورـاـ إـلـىـ الـخـطـرـ. وـفـجـأـةـ وـجـدـتـ نـفـسـهـاـ مـدـفـونـةـ تـحـتـ  
أـطـنـانـ مـنـ الـوـحـلـ.

فـتـحـتـ عـيـنـيـهاـ وـرـأـتـ نـفـسـهـاـ فـيـ غـرـفـهـاـ، وـلـمـ تـسـتـطـعـ الـحـرـكـةـ لـأـنـ كـلـ  
جـسـمـهـاـ كـانـ مـلـفـوـفـاـ بـالـضـمـادـاتـ.  
وـصـرـخـتـ وـهـيـ تـحـاـولـ أـنـ تـنـهـضـ:

- ولن أتلقي منك ولو أمراً واحداً؟  
 - ليس هذا فقط بل لن أحلم حتى بالتفكير في ذلك.  
 - في هذه الحال... نعم، أظن أنني سأتزوجك.  
 انحنى وطبع قبلة على جبينها ثم قال:  
 - أيتها الفتاة الجميلة ذات القلب الحريري الدافئ، سنعقد قراننا  
 حالما تشفين.  
 في تلك اللحظة فتح الباب ودخلت شيرلى. لم تتأثر بما رأت إذ  
 إنها كانت تعودت على ذلك ولم تنزعج. على العكس، انفوج وجهها عن  
 ابتسامة عريضة وقالت وهي تقدم نحو السرير:  
 - كيف أنت يا بني؟  
 أجابت مبتسمة:  
 - إنني في تحسن مستمر.  
 وسألتها بدورها:  
 - أين غراهام؟  
 - سيأتي فيما بعد.  
 بقيت معهما ببرهة من الزمن ثم ذهبت إلى غرفتها.  
 قال ماكس بعد خروجها:  
 - كنت فلقا بشأنها.  
 - إنها أسعد حالا الآن.

- سأستريح... هل ستكون بني بخير؟  
 - لا تنزعج نفسك بهذا الصدد. ساعتنى بها أحسن عنابة. قال  
 الطبيب أن بني ستلازم الفراش مدة شهر قبل أن تشفى تماماً. إلا أن  
 ذاكرتها سستعيد قوتها أسرع من جسمها.  
 وبالفعل سرعان ما عاد ماكس وبنى إلى جدالهما، ولكن ليس  
 كال أيام السابقة.  
 وفي إحدى الأمسيات الجميلة بينما كان ماكس جالساً بالقرب من  
 سريرها، ممسكاً بيدها ينظر إليها نظرة خاصة كانت مستحيلة سابقاً،  
 تقدم منها وطلب يدها.  
 - هذا إذا استطعت أن تعتادي العيش مع حمار متكبر مثلّي،  
 وشخص غطرسته لا تطاق وينسب إلى نفسه كل الأهمية...  
 - ماكس... كفى!  
 - .... مع رجل بدون إحساس أو شفقة، يعبد المال... إذا كنت  
 تستطيعين أن تتحمل ذلك وغير ذلك من الرذائل، قولى نعم.  
 كانت بني تقطّي وجهها بيديها، فرفعهما ليرى وجهها كله سعادة.  
 سألته وهي تتنفس من البهجة:  
 - أليس في نيتك أن تصلح نفسك؟  
 - يا حبي، سأفعل كل شيء!  
 - كل شيء؟ أى أنك ستدعنى أفعل ما يحلو لي؟  
 - بكل تأكيد، اتبعي الطريق الذى تريدين.

- كانت تغار منك ولهذا كذبت باختلافها قصة عنك وعن غراهام.  
أعتقد أنها أصبحت أكثر ادراكا.

- كانت وحيدة بينما يا ماكس.

- لم نحظ أبداً بنزهة في ضوء القمر.

أخذ ماكس مكانه على الكرسي تناول يدها واحتفظ بها وظلا صامتين لا يشاركانهما صمتهم سوى ضوء القمر الفضي.